واضح رشيد الندوى

تاريخ الأدب العربى

العصر الجاهلى

مؤسسة الصحافة والنشر
ص-ب ٩٣، ندوة العلماء، لكهنؤ (الهند)

حقوق الطبع محفوظة

٢٠١٠م ـ ١٤٣١هـ

قيمت Rs,70=00

ملتزم الطبع والنشر

مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء ص.ب:٩٣ لكهنؤ

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد النبى الأمين. الذى بعثه الله بدين الحق المبين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن الطبعة الأولى لتاريخ الأدب العربي صدرت في عام ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ونالت قبولاً في المدارس، وقد كان إعداد هذا الكتاب تحت خطة معينة وضعت فيها بعين الاعتبار المقررات الدراسية في المدارس الدينية التى تركز على العلوم الشرعية، وتعتبر دراسة النصوص الأدبية وسيلة لفهم العلوم المدونة باللغة العربية، ولا تسع المواد الدراسية المقررة، والساعات المعينة لدراستها التوسع في دراسة الموضوعات المتصلة باللغة العربية، والتركيز عليها، أو التفرغ لها. ويدل على ذلك منهج الأدب العربي المقرر الذي لايشتمل على دراسة نشأة اللغة، وخصائص اللغة، والأحوال الطبعية والعقلية للناطقين بها، والذوق الأدبي، ومعايير الذوق الأدبي، وهي موضوعات مستقلة تحتاج إلى التفرغ لها، وسعة المطالعة فيها، فتنقطع بذلك الصلة بين الإنتاج الأدبى، وظروف الإنتاج وأصحاب الإنتاج، كما أن طالب هذه النصوص الأدبية لايعرف ما يدور حولها من مباحث، وما ترتبط بها من آراء الناقدين القدماء والمعاصرين، وقد لعبت هذه الآراء عن العرب وأدبهم في مختلف العصور دوراً في تكوين الذهن، وبدون معرفة أحوال العرب ومعتقداتهم في الجاهلية لايدرك فضل الإسلام عليهم ومدى إصلاحه لأحوالهم، فجعلهم قادة العالم وهداته.

وقد بذلت أنا في الجزء الأول من هذه السلسلة من تاريخ الأدب العربي، وهو العصر الجاهلي الذي نحن بصدده في هذا الجزء، و بذل في الجزء الثاني

منها وهو المحتوي على العصر الإسلامي فضيلة الأستاذ محمد الرابع الندوي عميد كلية اللغة العربية سابقاً، ومدير دارالعلوم ندوة العلماء حالياً، محاولة لجمع هذه الموضوعات وتلخيصها ليتعرف عليها الطالب في وقت قليل يتيسر له من خلال دراسته للعلوم التي يعكف على دراستها، فإن أخذ القليل خير من ترك الجميع.

ويشتمل الجزء الأول على بحث نشأة اللغة العربية، وتطورها، وخصائصها و خصائص الناطقين بها، ومعتقداتهم ومعارفهم، وقد زيدت في الطبعة الثانية مواد تتعلق بخصائص العرب، وتاريخهم، قبل الإسلام كأيام العرب، وأسواقهم، ومعتقداتهم، ومعلومات عن النباتات، والحيوانات في الجزيرة العربية، ونرجو أنها ستزيد قيمة الكتاب، كما زيدت فيها نصوص أدبية.

ويليه الجزء الثاني الذي وضع على نفس الفكرة والمنهاج ، وقارن فيه واضعه بين خصائص العهد الجاهلي ومؤثراته على العهد الذي جاء بعده، وبذلك جاء الكتاب جامعا لفوائد جديدة، واشتمل على تعريف جوانب الحياة العربية المختلفة.

ويشكر المؤلفان أنا والأستاذ محمد الرابع أخانا الأستاذ إقبال أحمد الندوي الغازيفوري الذي ساعدنا في النظر في مواد الكتاب، والرجوع إلى المراجع، وتصحيح التجارب بدقة وإمعان .

وأخيراً نسأل الله تعالى دوام التوفيق، وحسن النية، والإخلاص في العمل كله، و أن يوثق صلتنا باللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم، ويتقبل منا ويسدّد خطانا، وهو ولي التوفيق.

واضح رشيد الندوي

ندوة العلماء، لكناؤ

١٤٢٠/١/٧هـ

١٩٩٩/٤/٢٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

بقلم : سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان ، ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

وبعد! فما تحقق وظهر جليًا في العصور الأخيرة ، أن تاريخ الأمم والحكومات ، والحضارات ، والثقافات ، والمجتمعات ، والبيئات ، حتى تاريخ العلوم والآداب- بما فيها تاريخ الأدب والشعر - خاضع في كثير من الأحوال لاتجاه المؤلف وذوقه، وفي بعض الأحيان لأهدافه الدقيقة وأغراضه البعيدة ، فإن الباحث يجد لكل ما يريده ، مادة غنية منثورة مبعثرة في كتب التاريخ ، والقصص والحكايات ،والمحاضرات والفكاهات ، حتى في كتب الرحلات والمذكرات ، لو جمعت في مكان واحد، بلباقة كتابية وقدرة تأليفية ، لكونت كومة من الدلائل الواضحة والبراهين الساطعة ، على أنه كان يسود هنالك لون خاص من الحياة على المجتمع كله ، وعلى أن الأدب والشعر ، والإبداع والابتكار ،

والعبقرية البيانية أو الخيالية ، كانت تدور حول محور خاص ، وتتدفق من منبع خاص ، قد تكون النهامة بإشباع الغرائز ، والتمتع الزائد بالحياة ، والاندفاع المتهور إلى التيارات أو الترفيه والتسلية ، والوصول إلى أغراض مادية ، فمن اقتصر على قراءة كتاب " الأغاني " لأبى الفرج الأصبهاني م ٣٥٦هـ وكتاب " ألف ليلة وليلة " من النثر العربي أو ديوان بشار بن برد م ١٦٧هـ ، وأبي نواس م ١٩٩هـ ، من الشعر العربي ، اقتنع بأن المجتمع الإسلامي العربي في العصر العباسي ،كان مجتمعًا مترهلاً بطرًا ، وفق التعبير القرآني.

يضاف إلى ذلك أن المؤرخ أو المؤلف في موضوع وصف حضارة وتحليل عناصرها و تركيبها النفسي و الحضارى ، لو اقتصر على كتاب للجاحظ م ٢٥٥هـ ، أو كتب في حكايات المتطفلين والعيارين ، استطاع أن يثبت أن المجتمع في العصر العباسي مثلاً كان منصبغًا - بجزء كبير و سمة بارزة- بسجية البخل، الذي كان العرب في جاهليتهم و إسلامهم من أبعد الأمم عنه ، فضلاً عما جاء الإسلام به من حث على الجود ، وإيثار الغير على النفس ، ومكارم الأخلاق والشهامة ، واستنتج بذلك بعض المتأملين في القرآن والمتدبرين له ، حكمة ورود ذم الإسراف والتبذير في القرآن أكثر من ذم البخل، حتى ورد في ذم التبذير من الكلام القوى العنيف اللاذع ما لم يرد في ذم البخل، فقد قال الله تعالى : ﴿ إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ﴾ وذلك لأن البخل لم يكن من

سجايا العرب ، ولا يتفق مع طبيعتهم الأصيلة ، ولم تكن حاجة إلى التشنيع عليه ، و استهجانه لهذا القدر .

ومن قرأ كتاب الأذكياء للإمام الحافظ ابن الجوزى ، وبابه الخاص بفطن المتطفلين ، استنتج أنه كان للمتطفلين والعيارين دولة وصولة في هذه العصور الذهبية ، مع أن ذلك كان من الحوادث النادرة التى لا يخلو منها عصر من العصور ، قد ضخمها و لونها القصاصون والحكاهيون " للسمر والتسلية " وإزالة السآمة ، وإدخال السرور على المجلس، وحرصًا على التنادر .

و كذلك من اقتصرت دراسته على كتاب حلية الأولياء لأبي نعيم ، أو صفة الصفوة لابن الجوزي ، أو " إحياء العلوم " للغزالي " أو كتب في الزهد ، و أخبار الزهاد لشيخ الإسلام عبدالله بن المبارك وغيره، استطاع أن يصور للقارئ ، الجانب المشرق الربانى من المجتمع الإسلامي وحده ، و يعطى انطباعًا للقارئ أن المجتمع الإسلامي في بغداد و في العواصم الإسلامية كان مجتمعًا - مائة في المائة - متبتلاً زاهدا ، مقبلًا على الآخرة بالكلية ، عزوفًا عن اللذات والشهوات ، مع أنه كان يوجد كل هذا بنسب مختلفة ، ولكن القضية قضية التناسب، وقضية المقارنة العادلة ، وتجريد الفكر والقلم عن الخضوع -وبالأصح إخضاع الحوادث والمادة التاريخية - لنزعة خاصة أو أغراض غامضة أحيانًا ، واضحة أخرى .

ثم إن عملية الكتابة والتأليف في تراجم الرجال أو تاريخ عهد أو حضارة ، أو دين و دعوة ، أو حركة وفلسفة ، لا تنتهى في فترة زمنية أو مدرسة تأليفية ، فلا تزال هنالك حلقات مفقودة طيلة قرون ، يعثر عليها فجاءة ، أو مطمورة في ركام من التفاصيل والجزئيات ، ينفض عنها الغبار الذي تراكم عليها ، أو الأنقاض التى غطتها ، فلا بد من مواصلة البحث وهمة عالية ، وثقة بوجود الجديد المجهول ، والطريف المغمور ، في المكتبة العربية الإسلامية، التى هى من أغنى المكتبات وأوسعها ، فيها كتب أو مخطوطات لم تر ضوء الشمس ، ولم تصل إليها يد متناول ، وبذلك تقدمت الثقافات ، واكتشفت الحقائق الجديدة ، وتغيرت الآراء والنظريات، وأصلحت الأخطاء ، وأنصف لدعوات وحركات ، وأسر وشخصيات أو مجتمعات أو حضارات ، ولا تزال المكتبات في الشرق والغرب تطلع بالجديد المجهول الذي كان يتسامع به علماء ذلك الفن ، ولا يجدونه، فلا بد من الإفادة من ذلك .

ترجع الحكاية إلى الثلاثينات الأولى من القرن الميلادى الجارى، حين أسند إلى الكاتب- مع ما أسند إليه من دروس في التفسير والحديث واللغة والأدب - تدريس كتاب " تاريخ الأدب العربي" للأستاذ أحمد حسن الزيات، فكان ذلك هو الكتاب الحديث الأحدث في موضوعه ، وكان كتابًا له قيمة أدبية موضوعية ، واشتغل الكاتب بتدريسه في صف من صفوف دار العلوم التابعة لندوة العلماء عدة

سنين ، هذا مع اطلاع سابق على كتاب "تاريخ آداب اللغة العربية" لجرجي زيدان وغيره من كتب ألفت في هذا الموضوع ، فكان مع تقديره لهذا الكتاب الذي جمع بين بحث رصين ، واختيار موفق للنماذج الشعرية والنثرية، و كتابة أدبية في أسلوب عربيّ عصري جميل ، يشعر بحاجة إلى تأليف جديد في تاريخ الأدب العربي يحتوى على مادة جديدة و زيادات تستخرج مما كتب في تاريخ الأدب والأدباء والشعر والشعراء، من العصر الجاهلى إلى العصر الحديث أصالة ، مالم يكتب في هذا الموضوع بالتحديد ، ولكنه يتصل به بنسب قريب أو بعيد أو لا يتصل به أصلاً ولكنه يفاجئ القارى والباحث بجوانب جديدة ، أو يجعله يتأمل في ما آمن به واقتنع به من نظريات و آراء في منازل الأدباء والشعراء، والنزعات التى كانت تسود على عصرهم و بيئتهم ، وتعمل عملها في شعرهم وتفكيرهم.

وكنت أحب أن أتفرغ لهذا العمل وأغامر بنفسى في هذه الرحلة الطويلة المثيرة لكثير من الاستغراب والاستنكار ، وأعطى بعض الأقطار التى تكونت فيها مدرسة أدبية شعرية نقدية جديدة ، و مثلت دورًا خاصًا في تاريخ الأدب والشعر ، و البحث والتحقيق ، والمعاجم والشروح و شرح المصطلحات العلمية وعلم البلاغة .

أخص منها شبه القارة الهندية التى انتهت إليها رئاسة بعض العلوم الدينية والأدبية، بعد القرن الثامن الهجرى بصفة عامة وهجوم

التتار على الشرق البعيد الذي كان موطن العلوم و مركز الدراسات الإسلامية، والشرق العربي بمافيه العراق و مصر والشام بصفة خاصة. فقد أغفل ذلك أكثر المؤرخين للثقافة الإسلامية والأدب والشعر، لا عن عصبية جنسية، أو نزعة سياسية، ولكن لقلة وجود المصادر العربية في هذا الموضوع [1]، ولكن صرفت عنه صوارف، منها أعماله التأليفية في تعليم اللغة والأدب في بلاد كالهند، منها سلسلة "قصص النبيين للأطفال " والقراءة الراشدة " وكتاب "مختارات من أدب العرب" ومنها أنه كان يستعظم هذا العمل و يعتبره عملاً مجمعيًا، موسوعيًا يقوم به مجمع علمي أو جماعة من الأساتذة الذين مارسوا تدريس هذه المادة سنين طوالاً، واتسع اطلاعهم على مصادره ومظانه.

ولكن رغم تهيبه لهذا العمل العملاق الكبير كانت فكرة استعراض المكتبة الأدبية العربية - النثرية والشعرية - من جديد، وإثارة الكنوز الدفينة فيها، وإدالة الأدب المطبوع النابع من أعماق القلب أو العقيدة الراسخة ، والفكرة القاهرة ، والمعبر عن ضمير حر سليم، من الأدب المصنوع المتكلف -إذا لم نقل المحترف الانتهازى- وإعطاءه

---

[1] وذلك الذي حمل العلامة السيد عبدالحي الحسنى (م١٣٤١) والد كاتب هذه السطور، على أن يؤلف كتابه الكبير " الثقافة الإسلامية في الهند " الذي لا يزال المرجع الوحيد لإنتاج علماء الهند العلمي الديني والأدبي بعد دخول الإسلام في هذه البلاد إلى وفاة المؤلف ، وقد صدرت له طبعتان من مجمع اللغة العربية في دمشق .

حقه من العناية والتقليد، والإجلال والتقدير، كانت تنتابه و تتردد في خاطره، فكتب مقالاً لمجلة اللغة العربية، مجلة " المجمع العلمي العربي" [1] بدمشق حين اختير الكاتب عضوًا مراسلاً فيه سنة ١٩٥٧م بعنوان: "نظرة جديدة إلى التراث الأدبي العربي " وقد استرعى هذا المقال انتباه المعنيين بالأدب العربي وعرضه من جديد، وإعداد البحوث العلمية فيه، و أولوه من التقدير والاهتمام ما لم يكن يتوقعهما كاتب المقال [2].

ولم تزل فكرة وضع كتاب جديد أو سلسلة كتب في تاريخ الأدب العربي في مختلف الأدوار، ومختلف الأقطار، تراود خاطر الكاتب وتتردد بين حين وآخر، ولعل هذه العملية الفنية كانت تتأخر كثيرًا ولا تتحقق أصلاً، لعلو سن الكاتب وانصرافه إلى مجالات أخرى من التأليف والدعوة ومسئوليات نيطت به في بلاده و خارج بلاده، ولكن أراد الله أن تناط هذه العملية التحقيقية البحثية التى هي في صميم تعليم اللغة العربية وآدابها بندوة العلماء، التى كان لها شرف الدعوة إلى تعليم اللغة العربية، على الطريقة القويمة الصحيحة، ودراستها كلغة حية، نامية دافقة بالقوة والحيوية تقضى حاجات النفس كما هى تقضى حاجات العصر، وأن تكون مكتفية في تعليم تاريخ الأدب

---

[1] مجمع اللغة العربية حاليًا.

[2] يمكن الاطلاع على هذا المقال في مجموع مقالات للكاتب " نظرات في الأدب " من مطبوعات رابطة الأدب الإسلامي العالمية، (طبع دار القلم بدمشق ص ٢٥-٢١).

العربي ، كما كانت مكتفية في عديد من أقسام العلوم والمجالات العلمية والتعليمية .

فكانت للكاتب مفاجأة سارة حين علم أن أستاذين بارزين من أساتذة جامعة ندوة العلماء ، وهما الأستاذ محمد الرابع الندوي والأستاذ واضح رشيد الندوى ، قد تكفلا بوضع منهج دراسى ، وتأليف سلسلة من كتب في تاريخ الأدب العربي ، واستقل الأستاذ واضح رشيد الندوي بقسم العصر الجاهلى من تاريخ الأدب العربي ، والأستاذ محمد الرابع الندوي بجزء صدر الإسلام من تاريخ الأدب العربي ، و قرر الاستمرار في إتمام هذه السلسلة إلى أن تصل إلى الدور المعاصر ، وإلى إبراز قسط شبه القارة الهندية في إثراء المكتبة العربية الأدبية والعلمية، ومعطياتها في بعض المجالات والميادين، وبذلك تكمل هذه السلسلة الذهبية بإذن الله تاريخيًا و جغرافيًا، وشمولاً واحتواءً ، وقد ساعدهما على ذلك إلمامهما باللغة الفارسية والانجليزية ، فضلاً عن الأردية لغة الهند العلمية الدينية ، واطلاعهما على المصادر الحديثة في تاريخ العلوم والآداب ، والنظريات العصرية ، وزيادة على ذلك النظرة الإسلامية الموسعة البعيدة عن تقديس الغرب والاعتماد عليه الاعتماد الزائد والتطفل على كتابات المتستشرقين ، و إعطاءهم مالا يستحقونه من التفخيم و التقدير ، والنقل والتقليد .

وأخيرًا نسأل الله تعالى جاهدين مخلصين التوفيق لإتمام هذا العمل الجليل ، وأن يمد في عمرهما ويأخذ بيدهما لينتهيا بهذا العمل إلى غاية سديدة رشيدة ، سليمة كريمة ، وأن يكتب التوفيق لدور التعليم العربي والديني في شبه القارة للانتفاع بمجهود بعض زملائهم ، فالمدارس والجامعات الدينية العربية كلها ، أسرة واحدة ، والعاملون فيها زملاء في الوصول إلى غاية واحدة ، والله ولي التوفيق .

أبو الحسن علي الحسني الندوي

دارة الشيخ علم الله الحسني رحمه الله

رائي بريلي

٢٥/من ربيع الأول ١٤١٠هـ

٢٦/ من اكتوبر سنة ١٩٨٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب

بقلم الأستاذ محمد الرابع الندوي

الرئيس العام لندوة العلماء
لكناؤ (الهند)

إن فن تاريخ الأدب بإطاره الجديد السائد لدى مؤرخى الأدب اليوم مأخوذ من قادة الأدب الغربيين، ولكننا إذا رأيناه في إطاره العام لوجدناه أنه كان سائدًا لدى أدباء العربية وعلمائها القدماء أيضًا، فإن هناك مجموعات شعرية مختارة و مجموعات لنماذج الأدب المنثور ألفت على الأساس التاريخي كذلك، وبذلك ليس تاريخ الأدب في أساسه موضوعًا حديثًا بل إن له جذورًا قوية واضحة في القديم وهي التى تربي عليها الأجيال العربية السابقة ، ولم تزل تتربى إلى أن بدأ العهد الحديث.

وبدأ العهد الحديث من احتكاك العرب بالغرب ، وعكوفهم على مناهله العلمية والأدبية ، وذلك في وقت كان الغرب قد بلغ قوته و غلبته ماديًا وسياسيًا ، واتسع نطاقه في المعرفة العلمية والاطلاع ، وطفق يبهر ضياء علمه عيون الشرقيين الضعفاء المصابين بمركب النقص أمامه،

وكان الشرق الإسلامي بما فيه الشرق العربي وغير العربي يمر خلال هذه الفترة من ذهول وخمول وضعف شديد ، ولم يكن الشرق في طلبه للنهوض مرة أخرى إلاّ أن يتتلمذ على موائد الغرب ، و يتناول ما يجده فيها من ألوان التراث والمعرفة والعلم مما قام بخدمته أو تجديده نحارير الغرب و فطاحله في الأدب والثقافة والعلم .

ومن هذا الطريق دخل فن تاريخ الأدب العربي في مراكزنا العلمية بالشكل الذي استحسنه و رآه المستشرقون في الغرب، والمستشرقون هم جماعة من الناس خدموا تراث الشرق العلمي إخراجاً وتحقيقاً و تعليقاً وحلاً لمشاكله العلمية ، وقدموه إلينا بروح و طبيعة من العقلية الغربية والفكرة البابوية ، أما المتتلمذون على علماء الغرب المستشرقين فقد استفادوا من ذلك، وقلما تنبهوا على تأثير القوالب الغربية على ما صيغ فيها ، لأن العادة جرت في ميادين العلم والفكر أن التلاميذ قلما يتنبهون على مواضع الخلل لأساتذتهم .

ولكن مضت على الغزو الثقافى الغربي مدة كانت تكفى لأن تفطن عقول الشرقيين لما هو صاف من ماء المعرفة و الثقافة و الأدب ولما هو عكر ، واقتضت الحاجة إلى أن تؤلف كتب جديدة تبحث في الثقافة و العلم بروحهما الحقيقية ، و أن تعرض المادة الأدبية و العلمية في قوالبها الأصيلة ، وبدأ هذا الاتجاه في كتابات عدد من علماء الأدب والفكر المسلمين أخيرًا ، و بدأ تصحيح المسار العلمي والأدبي الإسلامي

بفضل الله وكرمه .

ولقد تنبه لضرورة التأصيل والتصحيح لمسار العمل الأدبي والفكرى سماحة أستاذنا السيد أبي الحسن على الحسني الندوي عند ما بدأ مهنة التدريس في دار العلوم ندوة العلماء ، و ذلك في أوائل الأربعينات من القرن الميلادى الحالى أو أوائل العقد السابع من القرن الهجرى الماضى، فبدأ بتعريف تلاميذه بالخلل الواقع في أعمال الاستعراض والإثارة للتراث العلمي والثقافي الإسلامي والعربي لدى المحققين غير المسلمين ، و قام سماحته بجمع نصوص أدبية متصفة بالجمال الأدبى نابضة بالحيوية و القوة على صورتها الحقيقية، و ألف في ذلك كتابه "مختارات من أدب العرب" و دعا في مقدمته إلى استعراض جديد للمادة الأدبية ، و نصح سماحته تلاميذه بالسير على هذا الدرب و إعداد كتب دراسية على المنهج الجامع بين القديم الصالح والجديد النافع ، و بإزالة الغبار الذي لحق المعارف الإسلامية المختلفة بسبب الغفلة من أصحابها ، و بسبب الاعتداء من أعدائها ، فنشط عدد من تلاميذه بالعمل، و ألفوا كتباً في موضوعات مختلفة مقررة في مناهج ندوة العلماء التعليمية من النصوص الأدبية واللغة والنحو والتصريف والنقد والتاريخ والموضوعات الدينية والثقافية والأدبية والدعوية الأخرى ، وكان من أصحاب التأليف فيها الأستاذ المرحوم على أحمد الكياني الندوي والأستاذ المرحوم عبد الماجد الندوي والأستاذ محمد

معين الندوي و الأستاذ سعيد الأعظمي الندوي رئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي" العربية ، و ذلك في مجال اللغة العربية وقواعدها بصورة خاصة ، والمرحوم فضيلة الشيخ محمد أويس الندوي أستاذ التفسير في ندوة العلماء ، والأستاذ الدكتور عبدالله عباس الندوي والدكتور تقي الدين الندوي ، والأستاذ السيد سلمان الحسيني الندوي ، والشيخ شفيق الرحمن الندوي و غيرهم و كاتب هذه الحروف، و ذلك في موضوعات فقهية و علمية إسلامية بصورة خاصة، و على رأسنا و في مقدمتنا سماحة الشيخ الندوى نفسه .

و كان سماحته يدرس علم التفسير و الأدب ، و كان من موضوعاته تاريخ الأدب العربي أيضاً ، فكان يدرسه على منهجه بالتأصيل والتصحيح ، و استمر على ذلك منبهاً تلاميذه على التفريق بين الأصالة و التقليد الأعمي .

و كان بوده أن يقوم هو بتأليف كتاب في تاريخ الأدب العربي على الخطة الرشيدة ، ولكن مسئولياته المختلفة لم تسمح له بذلك ، فأوصى تلاميذه بهذا العمل ، و من هنا كان قيامنا لتقديم جهدنا في هذا المجال ، و بناءاً على جلالة شأن هذا العمل و قلة بضاعتنا فيه توزعنا بيننا أبواب الموضوع، فاخترت أنا عهوداً واختار أخى واضح رشيد الندوي عهوداً أخرى ، واستعرضنا ما احتوته الكتب المؤلفة فيها قديماً و حديثاً ، و اخترنا منها ما وجدناه سديداً و مفيداً، و لقد راعينا في

ذلك المستوى التعليمي الموافق لعقول الشباب ومستواه العلمي .

فهذا هو جهدنا و هو في صورته الأولى ، ولا يكون خالياً من النقص ، و لكننا أردنا من عملنا خيرًا وبذلنا جهدًا ، نرجو من إخواننا أهل البحث و التحقيق في شأن ما يجدونه في هذا العمل من زلة أو نقص أن ينبهونا على ذلك ، و ندعو الله تعالى أن يتقبل منا صالح أعمالنا ، و يغفر زلاتنا ، إنه رحيم مجيب .

محمد الرابع الحسنى الندوي

الرئيس العام لندوة العلماء
لكناؤ (الهند)
١٤٠٩/١١/١٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدى الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيد المرسلين و أصدق القائلين الذي نزل عليه الكلام المبين ، لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه ، تنزيل من رب العالمين.

وبعد ! فإن الأدب هو الكلام الذي يهذب النفس ، و يثقف اللسان ، و التاريخ يربط الجيل الحاضر بالجيل الماضى ، و ينظر الخلف من خلاله إلى سلفه ، ليقتبس منه الأفكار ، ويتعلم منه نتائج الأعمال، ويقوم سلوكه في ضوئه ، و إذا كان التاريخ العام يعنى بعرض الجيل الماضى بأفعاله و أعماله وتصرفه في الحياة ، ونتائج أعماله و أفعاله، ويتعلم الجيل الحاضر بما يقتبس من هذا العرض مناهج يسلكها في حياته ، و النتائج السيئة للأعمال فيتجنبها، فالتاريخ الأدبي يقدم للجيل الحاضر أقوال الجيل الماضى و تعبيره عن انفعاله و مشاعره و أحاسيسه في الكلام المنثور والمنظوم ، و يتعلم الجيل الجديد منه تأثير الكلام في الحياة ، وقيمة الأدب في الكلام ، و يميز به بين الطيب والرذيل، والحسن والقبيح من القول ، ويقتبس الأفكار الطيبة ، فيثقف

سلوكه . فإذا كان الكلام طيباً كان تأثيره طيباً، و إذا كان شنيعاً كان تأثيره شنيعاً ، فكم من حروب قامت ، و فتن ثارت بكلمة أو بيت شعر، و لذلك حث القرآن الكريم على القول السديد ، :﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ﴾ .

يتعلم الجيل الجديد من تاريخ الأدب تأثير الكلام و يقتبس منه ما يهذب نفسه و يثقف لسانه، فلا يقل تاريخ الأدب أهمية من التاريخ العام ، بل هو أقوى تأثيراً منه، لأن تأثير الأعمال محدود و موقت، وتأثير الأقوال دائم يقع على القلب، و يؤثر على النفس ، كما جاء في المثل العربي. "رب قول أنفذ من صول" وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن من البيان لسحراً" وقال: "و إن من الشعر حكمة".

و بهذا الاعتبار يتحمل المؤلف في تاريخ الأدب مسئولية كبيرة في عرض النماذج و تراجم الشعراء ، و الأدباء ، لأن لها وقعاً و تأثيراً على النفوس ، و قد أهمل المؤلفون في الموضوع هذا الجانب ، و أغفلوا هذا الاعتبار ، فعرضوا جوانب تتصل بإثارة الغرائز ، و إمتاع النفس، وأغفلوا جوانب التهذيب والتثقيف التى لا تخلو منها لغة من اللغات، ولاعهد من عهود التاريخ ، ولا شخصية من الشخصيات الأدبية، و ذلك لسوء فهم معنى الأدب الحقيقى ومكانته و دوره في الحياة ، فابتعد الأدب عن دور نشر الفضائل و المكارم ، وإن كان ذلك الدور دور الأدب الرئيسي .

كانت اللغة العربية غنية بهذه الثروة الكلامية ، و لا يخلو منها أى عهد من العهود بما فيه العهد الجاهلى ، بل إنه عامر به ، و تتوفر

نماذج مثل هذه الجوانب في شعر العظماء من شعراء الجاهلية، وخطبائهم ، كحاتم الطائي ، و زهير ، و النابغة الذبياني ، و حسان بن ثابت الأنصاري ، وعمرو بن معديكرب، وقس بن ساعدة الأيادي، وأبي الأصبع العدواني و غيرهم من الشعراء والحكماء ، و قد روى عن سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال "محاسن الشعر تدل على مكارم الأخلاق و تنهى عن مساويها " و كان يفضل زهير بن أبي سلمي المزني و يقول: إنه يتعفف ، و كذلك كان سيدنا أبوبكر الصديق رضى الله عنه يفضل النابغة الذبياني لترفعه في شعره، أما شعر النشوة، و الشهوة، والنخوة، فهو شعر حالات خاصة و جزء يسير من الأدب .

و إذا كان العهد الجاهلى يشمل ثروة غنية من أدب الحياة الذي يثقف ، و يهذب النفس ، و يصرف الدارس له إلى مسئوليات الحياة ، ومواجهة حقائقها ، و يوجد في الإنسان روح المصابرة ، و خدمة الإنسان، وتحمل الشدائد في سبيله فكيف يكون أدب العهد الإسلامي، والعهد العباسي، و الأيوبي والمملوكي والتركي الذي شاعت فيه العلوم، وازدهرت ، و وجد فيه علماء و نبغاء حتى السلاطين و الأمراء في تلك العهود كان يحدوهم الشوق إلى الجهاد ، وتتغلغل في قلوبهم العواطف النبيلة، و الحمية الدينية ، وكان الأدباء والشعراء حتى الندماء الذين يعرضهم المؤرخون بألوان المجون والخلاعة كانوا ينساقون مع هذا التيار ، و يتجاوبون مع متطلبات عصرهم ، ولا يجد الدارس للنصوص الأدبية صعوبة في العثور على أفضل النماذج و أجودها في أدب أى

أديب و شاعر، من أبي تمام ، والمتنبي والمعرى ، إلى أحمد شوقي وحافظ إبراهيم وعمر أبو ريشة في هذا العصر.

إنه مسألة الاختيار و الاقتباس و العرض للنصوص ، و هكذا في الأحداث و تصوير البيئة ، و تقديم تراجم الرجال ، ففي حياة الأدباء، والشعراء مواقف و أدوار تحمل دعوة إلى الفضائل والمكارم ، و قد وجدت في حياتهم فلتات و هينات ، لا تخلو منها حياة شخص ، تستحق غض البصر عنها باعتبارها فلتات ، و خاصة إذا تاب ذلك الشخص عنها، وعبر عن توبته و إنابته في أدبه ، أو شعره .

لقد أشار إلى هذا الجانب الشيخ أبو الحسن على الحسنى الندوي في مقاله عن الأدب ، و لهذا الغرض قام بتأليف كتاب "مختارات من أدب العرب" و سار على هذا الدرب الأستاذ محمد الرابع الندوي، مدير دار العلوم لندوة العلماء بتأليف كتاب "منثورات" و كانت هذه الجهود جهوداً رائدة، ونالت هذه الفكرة القبول في الأوساط العلمية، ثم تحولت إلى حركة الأدب الإسلامي .

كان تاريخ الأدب العربي منذ بدء التأليف فيه يخضع لأفكار المغتربين، وتلامذة المستشرقين ، والقوميين العرب ، وغلب عليه طابع التقليد للفكر الأوربي ، وسيطر على هذه البحوث تأثير بحوث المستشرقين ، فأثقل المؤرخون العرب كتبهم بآراء المستشرقين الذين كانت صلتهم باللغة العربية ضعيفة ، وفهمهم لطبيعة العرب القومية ضيقاً ، وكانوا في دراساتهم منحازين إلى تصوراتهم القومية ، وعقائدهم

النصرانية واليهودية .

وظل هذا الموضوع مدة من الزمن صدى لآراء حتى ، ومرغوليوث، ونولديكي ، واسمث، والأدباء الأوربيين الآخرين ، لأن معظم هذه الكتب ألفت في عهد الاستعمار الأوربي ، وكان أوائل الكتاب في هذا الموضوع من تلاميذ المستشرقين ، ولما تحررت الدول العربية بقى نفوذ أفكارهم وبحوثهم سائداً ، فبقى هذا الاتجاه ، وفي العهود الأخيرة ظهرت أقلام حاولت تطهير التاريخ من تأثير هذه النظريات ، واتخذت مواقف مستقلة في عرض النصوص ، ولكن لا تزال هذه الجهود في مرحلة البداية، وتحتاج إلى المواصلة والمتابعة .

إننا نجد في التاريخ شخصيات مظلومة أسيئ عرضها ، وهى في حاجة إلى دراسة جديدة ، من زاوية جديدة، لتعطى القارئ فكرة صحيحة عن المجتمع الإسلامي في القرون الأولى ، فلا يعرف القارئ إلا أن المجتمع في العهد العباسي والعهود التالية كان مجتمع الجوارى والندماء، والمضحكين ، والمجانين ، والمترفين ، و أن الأدب في ذلك العهد كان أدب الخمر ، و الكأس، والغوانى ، و الشرود الفكرى ، وهو خلاف الواقع ، وخلاف التاريخ .

إن الكتاب الذي نحن بصدده خطوة في هذا السبيل ، وهو خط جديد، وضعه سماحة الشيخ أبو الحسن على الحسنى الندوي و سار عليه، إنه كان من حق الأدباء و المؤرخين في العالم العربي ، أن يخلصوا هذا الموضوع من التأثير الأجنبى ، ولكن لم يبذل في صدد تصحيح المنهج

المتبع في كتابة التاريخ بصفة عامة ، و التاريخ الأدبي بصفة خاصة، مجهود كبير يعيد الثقة إلى نفوس الشباب المسلم في تاريخه .

وقد كان كتاب الأدب العربي بين عرض و نقد للأستاذ محمد الرابع الندوي كتاباً رائداً في هذا العمل ، و كان الموضوع يحتاج إلى توسعة و تفصيل، فوضعت ندوة العلماء خطة موسعة للكتابة في هذا الموضوع .

يختلف هذا الكتاب عن كتب تاريخ الأدب الأخرى في الجمع والشمول ، فإن كتب التاريخ الأدبية الشائعة في مدارس الدول العربية تركز على عرض تراجم الأدباء و الشعراء والنصوص على الخطوط التى وضعها الكتاب في التاريخ في عهد الاستعمار ، وبالإضافة إلى ذلك إن تاريخ الأدب في المدارس العربية موزع على دراسة النصوص ، دراسة تاريخية ، و دراسة نقدية ، و دراسة علم اللغة وفقه اللغة ، أما دراسة هذا الموضوع في مدارس الهند فهى محدودة ، فلا يقرأ الطالب تاريخ الأدب إلا في مراحل متقدمة بدون دراسته في المراحل الثانوية ، ولا يجد فرصة ليقرأ بحوث النقد الأدبى و لا تاريخ نشأة اللغة انعربية ، و تهذيبها ، وطبيعة الحياة العربية فجمعت بعض المعلومات الأساسية في هذه العلوم في هذا الكتاب لتحصل للطالب معرفة بها ، لتوفير الوقت كما بذلت محاولة لإبراز دور الإسلام في تربية النفوس و إعداد المجتمع النبيل، و تأثير القرآن الكريم و الحديث النبوى الشريف و أقوال الصالحين في تثقيف اللسان و تكوين المجتمع .

يشتمل الكتاب الذي بين أيدينا على تاريخ اللغة العربية والأدب العربي ، في عهد ما قبل الإسلام ، و ضمت إليه بعض الموضوعات المتعلقة بالعصر الجاهلي ، كرواية الشعر ، والكتابة والخط وقضية النحل كموضوعات أساسية ليكون القارئ على معرفة بها، ويمكنه التوسع في المعرفة ، بالرجوع إلى كتب مفصلة في الموضوع.

و إنى أشكر في هذا الصدد أخى الأكبر الأستاذ محمد الرابع الندوي مدير دارالعلوم لندوة العلماء على تشجيعه و مساعدته في إعداد الكتاب، وتنسيق الخطة وقبوله ليتحمل مسئولية الكتابة في أدب العصر الإسلامي ، لشغفه بذلك الموضوع ، و دراسته الخاصة كما أشكر زميلى الكريم الأستاذ سعيد الأعظمى على إشرافه على إخراج الكتاب والاهتمام بالنشر.

وأشكر زميلى الأخ عبد النور الندوي الأزهرى على مراجعة مسودة الكتاب وتوجيهه إلى بعض الجوانب المفيدة .

وأسأل الله التوفيق والسداد ، و أن ينفع به المسلمين و يلهمنا مراشد أمورنا و هو ولى التوفيق .

واضح رشيد الندوى

١٤٠٩/١١/١٥هـ

الباب الأول

الفصل الأول : العرب أصلهم و موطنهم

الفصل الثانى : اللغة العربية، نشأتها وخصائصها.

الفصـل الثالث : الأدب العربي، أقسامه وخصائصه.

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

العرب أصلهم وموطنهم

الساميون :

يطلق لقب الساميين على أولاد سام بن نوح، و منهم الشعوب الآرامية والفينيقية والعبرية ، والعربية ، و اليمنية والبابلية و الآشورية ومن انحدر من هذه الشعوب [1].

اللغات السامية :

تشتمل اللغات السامية على اللغات الكلدانية و الآشورية

---

[1] أول من استخدم هذا الوصف في إلحافه على الشعوب السابقة العالم الألماني فردريك سلوشر في أواخر القرن الثامن عشر على أساس الرواية التوراتية، و ليس له أساس ولا سند، و اختار هذه التسمية الكتاب العرب على سبيل التقليد، و من المؤرخين العرب المحدثين من يرى تسمية الساميين بالعرب .

والسريانية (الآرامية) والفينيقية والعبرية (الكنعانية) والعربية واليمنية والحبشية ، ولوجود قرابة بين هذه اللغات يشبه بعضها البعض الآخر في جوانب عديدة ، وقد اندثرت معظم هذه اللغات أو انقطعت صلتها عن أصلها، فلم يبق منها إلا لهجات أو لغات محدودة ، بعد تفرق الساميين إلى مناطق خارج الجزيرة العربية، واحتفظت العربية بمزاياها الأصلية لأنها بقيت في موطنها الأول و بقى الناطقون بها منقطعين عن الخارج ،وازدهرت بمر الأيام و تغلبت على سائر اللغات ، واللهجات الأخرى ، لأنها حملت رسالة الإسلام و نزل بها القرآن الكريم ، و قد وعد الله بحفظ القرآن الكريم ﴿إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون ﴾ و يضمن حفظ القرآن في هذه الآية لحفظ اللغة العربية كذلك ، فلم تحتفظ اللغة العربية بوجودها فحسب بل تهذبت تهذيبًا كاملاً ، و ارتقت بنزول القرآن الكريم بها، و لا تزال تتهذب وتتوسع محتفظة بخصائصها إلى العصر الحديث ، وصارت لغة التخاطب المفهومة في معظم أرجاء العالم ، ولغة العلم والإعلام و هي تعتبر من اللغات العالمية المعدودة المعترف بها في المنابر الدولية .

الموطن الأول للشعب السامي :

اختلف العلماء في تعيين الموطن الأول للساميين ، أهم من بلاد العرب أم رحلوا إليها من أفريقية أم الجزيرة .

الأقوال المشهورة كما يلى :

١-بلاد الحبشة و منها انتقلوا إلى القسم الجنوبي ببلاد العرب عن طريق باب المندب ، و من هنا انتشروا في مختلف أنحاء الجزيرة العربية .

٢-شمال أفريقية و منها نزحوا إلى آسيا .

٣- بلاد أرمينية بالقرب من حدود كردستان .

وهذه الآراء الثلاثة هى أضعف الآراء .

٤- جنوب العراق .

٥- بلاد كنعان .

٦- القسم الجنوبى الغربى من شبه الجزيرة العربية (الحجاز و نجد واليمن) و هذا هو أصح الآراء [١] ولم يقطع العلماء في أصل معهد الساميين برأى، و هم دائبون على التنقيب عن الآثار و مقارنة الحضارات المختلفة للشعوب السامية .

ومهما يكن موطن الساميين الأول فإنهم تفرقوا في المناطق الآتية :

البابليون والأشوريون في العراق ، والفينيقيون في سواحل سوريا، والعبرانيون في فلسطين، والأحباش في الحبشة ، والعرب في الجزيرة العربية .

---

[١] فقه اللغة، على عبدالواحد وافي .

شبه الجزيرة العربية :

العرب شعب سكن في منطقة تعرف بشبه الجزيرة العربية وهى إقليم في الجنوب الغربي من آسيا ، يحده من الشرق الخليج العربي، و من الجنوب المحيط الهندى ، و من الغرب البحر الأحمر ، و من الشمال يحده خط وهمي من خليج العقبة حتى مصب شط العرب في الخليج العربي .

و بلاد العرب في مجموعها صحراء ولكنها ليست كالصحارى الأخرى التى لا زرع فيها و لا ماء ، إنها تشتمل على مواضع خضراء مزروعة ، و خاصة على سواحل شبه الجزيرة ولكن الماء فيها قليل، وتميز جنوب الجزيرة بالخضرة ، فعرف بالأرض الخضراء أو البلاد السعيدة ، و قامت فيه حضارات، و اشتغل سكانه بالزراعة و الفلاحة والبناء ، و كان فيه ملوك، أقاموا السدود و الحصون و القصور ، و تنعموا في الحياة ، أما أهل الشمال فغلبت عليهم البداوة ، للجفاف ، و لغلبة الجفاف بصورة عامة وصف العرب في التوراة بالبداوة، و استعملت لفظة العرب بهذا المعنى في جميع فروع اللغات السامية [1] و أطلق الكتاب القدماء كلمة العرب على سكان هذه المنطقة الجافة الصحراوية.

---

[1] حضارة العرب لأحمد سوقه.

التقسيم الطبيعي لجزيرة العرب :

يقسم جغرافيو العرب الجزيرة العربية بحسب طبيعتها على خمسة أقسام :

١. تهامة : وهي الأرض الواطئة الممتدة بمجاورة ساحل البحر الأحمر من ينبع إلى نجران في اليمن ، وتسمي الغور أيضًا لانخفاض أرضها عن أرض نجد.

٢. الحجاز : ويقع شمالي اليمن و شرقي تهامة، و يتكون من أودية تتخلل سلسلة جبال السراة الممتدة من الشام إلى نجران في اليمن، وفيه المدينتان المقدستان مكة المكرمة و المدينة المنورة ، و سمي بالحجاز لأنه يحجز بين تهامة و نجد ، و وجدت في الحجاز آثار العمارة ، و الحياة المستقرة بنوع من نظام ترتبط به مختلف القبائل .

٣. نجد: ويمتد بين اليمن جنوبًا و بادية السماوة شمالاً و العروض وأطراف العراق و سمي نجدًا لارتفاع أرضه .

٤. اليمن: ويمتد من نجد إلى المحيط الهندي جنوبًا و البحر الأحمر غربًا ويتصل به من الشرق حضرموت و الشحر و عمان ، و عرف اليمن بالخصب و وجدت به آثار الحضارة و الحكم .

٥. العروض : ويشمل اليمامة و البحرين و سمي عروضًا لاعتراضه بين اليمن و نجد والعراق .

العـرب :

أقدم من ذكر العرب من اليونانيين أخيلس(٤٥٦-٥٢٥قم) و هيرو دوتس(٤٢٥-٤٨٤قم) و وردت إشارات إلى العرب في كتب طائفة من الكتاب كبطليموس الذي عاش في الاسكندرية في القرن الثانى للميلاد ، وعرفت هذه المنطقة عند الكتاب السريان باسم عرب منذ القرن الثالث للمسيح ، و وردت في الكتب اليونانية واللاتينية المؤلفة قبل الإسلام أخبار و أسماء قبائل عربية . و قد عرف العرب أيضًا في قديم الزمان بأسماء بعض قبائلهم الكبرى ١ فقد أطلق الآراميون والإيرانيون على العرب اسم تائوى نسبة إلى طئ ، القبيلة العربية الشهيرة كما أطلق العبرانيون هذا الاسم على العرب في عهد التلمود ، والكتابة الوحيدة التي فيها اسم العرب هى تلك التى عثر عليها في الكتابة العربية التى ترجع إلى زمن امرئ القيس .

أطلق القرآن لفظة العرب علماً على العرب جميعًا من حضر وأعراب، وخص بهذه التسمية و نعت لسانهم باللسان العربي، و نعت القرآن البدو بالأعراب و ذكرهم في مواضع كثيرة و ذكر طبائعهم الخاصة، و هو أول من خصص الكلمة و جعلها دالة على سكان الجزيرة العربية ٢ ومنذ ذلك الحين اقتصر استعمال كلمة العرب وطنًا و قومية

---

١ أرض القرآن للعلامة السيد سليمان الندوي.

٢ جواد على - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام .

على جزيرة العرب ، والعرب، وقد كان العرب قبل الإسلام ينتمون إلى قبائل و أماكن يتعصبون لها، و يلتزمون بها ويعادون غيرها ، فكانوا مشتتين متناحرين ، ولم تكن بينهم وحدة تربطهم إلا اللغة ، و لم يكن لهم أى ملتقى إلا الأسواق والموسم .

و يقول العرب القدامي بأن العرب عرفوا بهذا الإسم لإعرابهم، وهو البيان لأن الإعراب كان السمة الغالبة لهم ، قال الجوهرى: الإعراب، الإبانة:

و في اللغة رجل معرب إذا كان فصيحًا ، و إن كان عجمي النسب ،و رجل عربي إذا كان نسبه من العرب ثابتًا و إن لم يكن فصيحًا و جمعه عرب ، والرجل الأعرابى ، إذا كان بدويًا صاحب نجعة وانتواء و ارتياد للكلأ وتتبع لمساقط الغيث سواء كان من العرب ، أم كان من مواليهم ،و جمعه أعراب [1].

قال أخنس بن شريق :

و نحن أناس لا حجاز بأرضنا مع الغيث ما نلفى ومن هو غالب

ولا يقال للمهاجرين والأنصار ، وهم سكان مكة و يثرب و المناطق المجاورة الأعراب ، إنما هم عرب و قد تهذبت لغتهم و ارتقى أدبهم ، و لم يوجد في العرب شعور بكونهم أمة ذات خصائص و مميزات قومية ووطنية إلا بعد احتكاكهم بالأمم الأخرى كالفرس والروم و الهنود

---

[1] اللسان .

والأتراك ، فقد كانوا قبل الإسلام مهجورين لا يعبأ بهم ولا يوزن لهم [1] ولم يجتمع العرب تحت رأية واحدة كأمة إلا في ذى قار[2] اليوم الذي انتصر فيه العرب على الفرس مجتمعين .

طبقات العرب :

يقسم المؤرخون العرب إلى ثلاثة أقسام كبرى ، العرب البائدة، العرب العاربة، العرب المستعربة ، ويقسم بعض الكتاب العرب إلى قسمين البائدة والباقية، ثم يقسمون الباقية إلى العاربة والمستعربة .

العرب البائدة :

هم العرب الذين اندثروا ، منهم من ذكرهم القرآن الكريم و من لم يذكرهم ، و ممن ذكرهم القرآن عاد وثمود ، و قد ذكرت القصص والأساطير و الشعر العربي القديم شعوبًا كثيرة أخرى ، بادت منها طسم و جديس والعمالقة و جرهم الأولى ، و العرب البائدة أولاد إرم بن سام.

العرب العاربة:

و هم القحطانيون أو عرب الجنوب (اليمن) تعلموا اللغة

---

[1] يدل على ذلك ما جرى في بلاد كسرى في حضرة المنذر بن نعمان ما اضطره إلى أن يرسل خطباء العرب للدفاع عن العرب و بيان خصائصهم، و ما ذكره جعفر بن أبى طالب عند النجاشى .

[2] وقعت معركة ذى قار و كان صلى الله عليه وسلم في المدينة فقال هذا يوم انتصر فيه العرب على العجم و بى نصروا .

العربية من العرب البائدة و هم أهل إقامة لوجود أراض مخصبة و توفر الماء والخضرة في بلادهم ، ويقال إن أول من سكن اليمن هو يعرب بن قحطان ، و سمى العرب الأقدمون اليمن" اليمن الخضراء" لكثرة أشجارها و ثمارها ، و قيل إنهم نشأوا في الشمال ، و انتقلوا إلى اليمن في عهد المعينيين، و استولوا على مناطقهم ومدوا سلطتهم إلى أن خضعت اليمن كلها لهم ، وسقط المعينيون.

العرب المستعربة :

و هم العدنانيون الذين سكنوا الحجاز و نجد في شمال الجزيرة ، غلبت عليهم البداوة ، فسكنوا الخيام التى كانت تنصب حيث طاب لهم المقام، وأقربهم إلى الحضارة وأحسنهم خلقًا الحجازيون لجوارهم للكعبة المشرفة و اتصالهم بالقبائل العربية التى كانت تأتى إليهم في موسم الحج ورحلاتهم التجارية ، وهم منبع اللغة العربية الفصحى التى نزل بها القرآن الكريم .

حفظ الأنساب :

كان العرب في الجاهلية يحافظون على نسبهم ، ويحرصون على تخليد مآثر آبائهم و أمجادهم ، و يتفاخرون ، ويتباهون بها ، ولهذه العناية بحفظ الأنساب ، وجدت فيهم طبقات النسابين ، كرواة الشعر ، في القبائل الكبرى بصفة عامة ، كانوا يسجلون مفاخر رجال قبائلهم ،

ويلقنون أولادهم أن يسيروا في ضوئها ، يقول شاعر :

إنا لمن معشر أفنى أوائلهم قيل الكماة ألا أين المحامونا

و وصف النابغة الذبياني جيش الغسانيين :

و ثقت له بالنصر إذ قيل قدغزت كتائب من غسان غير أشايب

ويقول عمرو بن كلثوم :

فهل حدثت في جشم بن بكر بنقص في خطوب الأولينا
ورثنا مجد علقمة بن سيف أباح لنا حصون المجد دينا
ورثت مهلهلا و الخير منه زهيرًا نعم ذخر الذاخرينا
وعتابًا وكلثومـــا جميعًا بهم نلنـا تراث الأكرمينا

وللعناية بالأنساب كان بعض العرب الذين وهبهم الله ذاكرة قوية يحفظون الأنساب ، فعرف عدد منهم بالنسابة ، و ألفت كتب في الأنساب ، و كان سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه من علماء الأنساب ، يرجع إليه الباحثون في الأنساب ، و ممن عرف في علم الأنساب دغفل بن حنظلة و عبيد ابن شرية الجرهمي و أبو الشطاح اللخمى ، والشخار بن أوس و عبدالله بن عبد المحجر ، وهشام الكلبى ومحمد بن سائب الكلبى والمدائنى والفاكهاني ، ومصعب بن عبدالله الزبيرى ، و زبير بن بكار ، و قتادة ، والشعبى والنضر بن شميل الحميرى ، وخالد بن مسلمة، والأصمعى، وأبو عبيدة ، و ابن هشام ، والمبرد

والبلاذرى والسمعانى و ابن حزم ، والقلقشندى ، وكان دغفل أوسع أهل زمانه رواية في أنساب العرب خاصة و أخبارها و علومها في الجاهلية عامة.

و يعتبر علم الأنساب من علوم العرب التى يتميزون بها من غيرهم ، و كان علم الأنساب مادة غزيرة في الشعر العربي ، وأخبار العرب ، و كان وسيلة فعالة في الهجاء والرثاء ، وتفقد بعض القصائد العربية أهميتها بدون علم الأنساب ،و كان بعض الشعراء يشيرون إلى أحداث التاريخ ، ويذكرون بعض الأسماء ، وصلات بعض رجال القبائل مع بعض ، تتضمنها قصائد كاملة ، و قد استغل الشعراء في شعر النقائض علم الأنساب بكثرة ، ما يدل على أن أهمية الأنساب بقيت حتى في العهد الإسلامي .

رتب علماء الأنساب قبائل العرب على مراتب ، هى شعب ، ثم قبيلة، ثم عمارة، ثم بطن ، ثم فخذ، ثم فصيلة، فالشعب النسب الأكبر مثل عدنان و قحطان، و القبيلة مثل ربيعة و مضر، و العمارة مثل قريش و كنانة، والبطن مثل عبد مناف و بنى مخزوم ، و الفصيلة مثل بنى أبى طالب، وبنى العباس ، و جعل ابن الكلبى بين الفخذ والفصيلة، العشيرة و هى رهط الرجل ، والقبيلة الجماعة التى تنتمى إلى نسب واحد .

الأرحاء و الجمرات و الجماجم :

من قبائل العرب قوم لم يخرجوا من ديارهم و يسمون بالأرحاء، و هم ست قبائل ، تميم بن مرة ، و أسد بن خزيمة في مضر وكلب بن

وبرة، وطى بن أدد في اليمن ، وقبيلتان في ربيعة لم تعرفا ، ومنها قبائل تسمى بالجمرات ، لاجتماعهم على أن لا يخرج منهم أحد إلى غيرهم ، ولا يدخلوا من غيرهم أحدًا فيهم ، وهم بنو تميم بن عامر بن صعصعة ، وبنو الحارث بن كعب وبنو ضبة وبنوعبس بن بعيض ، والجماجم هى القبائل التى تفرعت من كل واحدة منها قبائل اكتفت بأسمائها دون الانتساب إليها ، فصارت كأنها جسد قائم وكل عضو منها مكتف باسم معروف بموضعه ، والجماجم ثمان : و هى غطفان و هوازن و كنانة و تميم في مضر، و بكر وعبد القيس في ربيعة ، ومذحج و قضاعة من سبأ باليمن[1].

الأنساب و تصور الطوطمية :

و قد رفض بعض المستشرقين كـ (روبرت اسمث ROBERST-SMITH) ونولديكى (NOLDEKE) الأنساب على أساس بعض الشكوك والشبهات و عمل التدسيس في العهود السابقة ، ولا شك في أن التدسيس وقع في كل موضوع و علم فيحتمل هذا الموضوع أيضًا تلاعب بعض علماء الأنساب لأغراض سياسية أو مادية ، ولكن الاهتمام الكبير الذي كان يناله علم الأنساب، و كثرة عدد النسابين ، واستمرار هذا العلم إلى قرون التدوين ، يستبعد تلاعبًا كبيرًا أو تلفيقًا واسعًا .

ورفض نولديكي وجود هذا العلم ، و قال إن محمدًا الكلبي و ولده هشام الكلبى اخترعا هذا العلم ، و الواقع أن هناك مصادر أخرى كثيرة

---

[1] العقد الفريد.

لهذا العلم. ولايقصد من هذا القول إلا هدم إحدى دعائم الحياة العربية ، والتشكيك في الشعر الجاهلي بكامله ، والذي وردت فيه إشارات كثيرة إلى الآباء والأمجاد وحوادث التاريخ ، وقد اشتبه على هؤلاء الرافضين حفظ الأنساب كما اشتبه عليهم حفظ الشعر وروايته لسوء تقديرهم لذاكرة العرب ، وعدم معرفتهم بخصائص العرب القومية ، إنهم تبنوا تلك النظرية لإنكار التاريخ العربي والتشكيك في السيرة النبوّية والأدب العربي ، واستند بعض هؤلاء الرافضين إلى تصورهم الخرافى المعروف بالطوطمية[1] وهو النسبة إلى الآلهة والكواكب والحيوانات ، والأشجار ، وكان هذا التصور شائعًا في الهند وأوربا فقاس عليه هؤلاء العلماء ، ولكن دراسة تاريخ العرب تفيد أن هذا التصور لم يكن شائعاً في العرب، ووقع آخرون بانتساب بعض القبائل إلى نساء في مغالطة وجود تصور الأمومة[2] لدى العرب ، وهو أيضًا قياس لا ينطبق على العرب فإن

---

[1] الطوطمية (TOTEMISM) نظرية وضعها ماك لينان المتوفى ١٨٨١م تقول : إن القبائل البدائية مرت بدور الطوطمية ، وهى اتخاذ القبيلة حيوانًا أو نباتًا أو كوكبًا ، وشوكة تسمى باسمه ، وكان هذا الطوطم الخيالى يحميها و يدافع عنها و كان الزواج ممنوعا بين أهل الطوطم الواحد ، و الأبوة غير معروفة عند أهل الطوطم، ويرجع النسب عندهم إلى الأم .

[2] الأمومة : اتخذ روبرت اسمث على أساس تسمية بعض القبائل تسمية الأنثى كمدركة ، و طابخة ، وخندف، دليلاً على أن العرب مروا بدور الأمومة وهو دور لم يكن للنساء أزواج معينون ، لأن الزواج لم يكن فيه

النسبة إلى الأمهات قليلة .

وقد انضمت بعض القبائل الضعيفة إلى قبائل أخرى نتيجة للأحلاف فانتسبوا فيما بعد إلى تلك القبيلة .

و ذكر ابن دريد في كتاب الاشتقاق طريقة العرب في تسمية أولادهم:

"اعلم أن للعرب مذاهب في تسمية أبنائها ، فمنها ما سموه تفاؤلاً على أعدائهم نحو غالب وغلاب ، و ظالم ، وسموها في هذا الباب مسهرًا ومؤرقًا ، و منها ما تفاءلوا به للإيثار نحو نائل، و وائل و ناج ، و سعيد، ومنها ما سمى بالسباع ترهيبًا لأعدائهم نحو أسد ، وليث ، و منها ما سمى بما غلظ و خشن في الشجر تفاؤلاً نحو طلحة و سمرة ، وسلمة وقتادة، و منها ما غلظ من الأرض و خشن لمسه و موطئه مثل حجر، وصخر و فهر ، و جندل ، و جرول ، و منها أن الرجل كان يخرج من منزل وامرأته تمخض ، فيسمى ابنه بأول ما يلقاه من ذلك نحو ثعلب، و كلب، وحمار ، و جحش ، و بأول ما يسنح أو يبرح من الطير نحو غراب ١.

= بالمعنى المفهوم من الزوجية عندنا ، وهذان تصوران لا ينطبقان على العرب ، لأن عادة تسمية القبائل بتسمية الأنثى ، و بالحيوان الخرافى لم يكن عاماً ، و يوجد خلاف ذلك كثيرًا .

١ كتاب الاشتقاق لابن دريد .

و أيد الجاحظ أيضًا هذا المسلك في تسمية الأولاد [1].

الفصاحة والبيان وحب الحرية :

وامتاز العرب بين أمم العالم وشعوبه في العصر الجاهلى بأخلاق ومواهب تفردوا بها أو فازوا فيها بالقدح المعلى، كالفصاحة وقوّة البيان ، وحب الحرّية ، والأنفة والفروسية والشجاعة والحماسة والصراحة في القول ، وجودة الحفظ ، وقوة الذاكرة ، وحب المساواة ، وقوة الإرادة والوفاء والأمانة، و إكرام الضيف ، والقرى ، و كل ذلك يتجلى في أدبهم ، نظمًا ونثراً، وخاصة الشعر الذي قيل عنه إنه ديوان العرب .

ولم يكن الموت في سبيل المجد ، والكرامة والنجدة محبوباً لدى نفوس رجال أى أمة كما كان لدى العرب ، فكانوا يتسابقون إليه كما قال شاعر :

يقرب حب الموت آجالنا لنا وتكرههم آجالهم فتطول

ويقول:

تسيل على حد الظبات نفوسنا وليست على غير الظبات تسيل

وقد انتشرت فيهم لبعد عهدهم بالنبوة والأنبياء وللتطرف في اتباع هذه الخصال ، والإفراط فيها ، بعض عادات قبيحة ، كالقتال

---

[1] راجع للتفصيل كتاب تاريخ التمدن الإسلامي وأرض القرآن للعلامة السيد سليمان الندوي .

لأدنى إثارة وعدم المبالاة بالعواقب وشرب الخمر والمغامرة ، والربا ، وكان شرب الخمر واسع الشيوع، تحدث عن معاقرتها والاجتماع على شربها والمغالاة في ثمنها الشعراء، وشغلت جانباً كبيراً من شعرهم بجانب ذكر القتال وسفك الدم ، وتبديد المال في حصول اللذات ، ولتصورهم بقصر الحياة ، وغلبة روح المغامرة ، والفردية كانوا غير مدنيين وغير متسامحين في السلوك فلم تشع فيهم الصنائع والعلوم ، والتدبير لتحسين مستوى الحياة .

الـــزواج والأســـرة :

كان العرب يعددون الزوجات ، ولم يكن هناك حد معروف لعددهن . ولعل ذلك كان نتيجة لزيادة عدد النساء على الرجال بسبب قتل الرجال في الحروب ، وكانوا يطلقون ، فإذا أراد الرجل أن يطلق زوجته يقول لها: الحقي بأهلك ، أو ما يماثل ذلك ، وكان للمرأة في بعض الأحيان الحق في أن تطلق نفسها ، وطلاق المرأة كان يعرف بأن تحول باب بيتها المصنوع من الشعر أو الوبر أو الجلد إلى جهته الأصلية ، ولكن الجمهور كان يجعل حق الطلاق للرجل ، وكان الرجل يرتبط بالمرأة بعقد زواج بعد رضائها ورضاء أوليائها ، وبعد أن يتفقوا على مهر معين، وكان بعضهم يتغالى في مهر البنات حتى يبلغ مبلغاً عظيماً .

وقد كانت هناك بعض أنكحة فاسدة أبطلها الإسلام نخص بالذكر منها :

(١) نكاح البغايا (٢) نكاح الاستبضاع (٣) نكاح الجمع (٤) نكاح المقت: وهو أنه إذا مات الرجل وترك زوجة وله أولاد كبار قام أكبرهم ووضع عليها ثوبه ، فيرث بذلك زواجها، فإذا لم يكن راغباً في نكاحها زوجها إلى من يريد من إخوته الباقين بمهر جديد ،(٥) أنكحة أخرى شاذة: كنكاح الأمهات والبنات والجمع بين الأختين ، ولكن هذا كان نادراً ، ولعله تسرب إليهم عن طريق المجوس ، وقد أطلق في الإسلام على كل هذه الأنكحة اسم السفاح ، ونحن نميل إلى الاعتقاد بأن ذلك كان مقصوراً على فئات خاصة منهم ، لأن ما عرف عن العرب من المحافظة على الأنساب والغيرة على العرض والشرف- يجعلنا نعتقد أن ذلك لم يكن شائعاً إلا في أحط الأوساط، وكانت لدى العرب بعض العادات المستهجنة، من ذلك: أن الرجل كان إذا قابل آخر ليس من قبيلته -ومعه ظعينة- فإن غلبه أخذ الظعينة، واستحلها لنفسه .

وكذلك كان بعض العرب يئدون بناتهم أحياناً ، وقد اختلف الباحثون في البواعث التى كانت تحملهم على الوأد ، ففريق منهم يقول: إن الباعث كان الإملاق وعدم القدرة على تربية الأولاد ، وآخرون كانوا يقولون : إن الباعث كان الحرص على صيانة العرض ، وخشية أن تجر البنت العار على عشيرتها في المستقبل ، وقد وصل الدكتور على عبدالواحد أستاذ الاجتماع بكلية الآداب إلى رأى جديد يقول : إن وأد البنات كان لدافع دينى بحت ، ذلك لأن العرب كانوا يعتقدون أن البنات رجس

من خلق الشيطان ، أو من خلق آلهة غير آلهتهم ، ينبغى التخلص منهن ونحن نرى أن هذه الأسباب مجتمعة قد تكون السبب في الوأد ، ونذكر في هذه المناسبة: أن الوأد لم يكن قاصراً على البنات بل كان يشمل الأولاد الذكور أيضاً ، وأنه كان شائعاً في بعض الطبقات المنحطة ، وقليل الشيوع بين الطبقات الراقية .

وكانت معاملة العربي لابنه تنطوى على الحنان والمحبة : يربيه ليكون درعاً يتقى به العدو ، ولذلك كانوا يتخيرون لأبنائهم شر الأسماء، مثل أسد وكلب وثور وفهر وصخر .

أما معاملته لأخيه وابن عمه ، فكانت تنطبق على المثل الجاهلى وهو انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، وكانوا يسيرون عليها بمعناها الحقيقي لا المعنى الذي تعورف عليه بعد الإسلام : بأن نصرة الظالم تكون بالأخذ فوق يديه .

بعض عادات العرب ومعتقداتهم الخرافية :

اشتملت أخبار العرب وأشعارهم على ذكر العادات والمعتقدات الآتية :

١. كان إذا مرض أحد الملوك أو الزعماء - حملته الرجال على أكتافها يتعاقبون .
٢. تحريم الخمر على أنفسهم حتى يثأروا لقتيلهم .
٣. التعفية أوسهم الاعتذار ، وأصل هذا : أن يتقدم جماعة من أهل

القـاتل إلى أوليـاء المقتـول -إن كـانوا مـن غـير ذوى البـأس- فيطلقون سهماً نحو السماء، فإن رجع مضرجاً بالدم امتنعوا عن أخذ الديـة، وإن رجـع كمـا صعد مسـحوا لحـاهم وصـالحوا على قبـول الديـة (قـال ابـن الأعرابـي مـا رجـع قـط إلا نقيـاً ولكنهـم يعتذرون به عند الجهال) .

٤. الخلع واللعن : فأما الخليـع فهـو الـذي خلعـه أهلـه وتـبرءوا منـه لخبثه ، فكان الرجل يأتى بابنه إلى الموسم ، فيقول خلعت ابنى هذا فإن جرلم أضمنه و إن جر عليه لم أطلبه .

وأمـا اللعين: فهـو تمثـال الغـادر ، كـان يجعل من طـين وينصـب ، وقد أبطل الإسلام هاتين العادتين .

٥. جز النواصى : فكـانت العرب إذا أنعمـت على الرجـل الشريف بعـد أسـره جـزوا ناصيتـه (وهـى الشـعر في مقـدم الـرأس فـوق الجبهة) فتكون الناصية عند الرجل الآسر يفتخر بها .

٦. شـد اللسـان : وذلـك أنهـم كـانوا إذا أسـروا أسـيراً وكـان شـاعراً ربطوا لسانه بنسعة (سير منسوج).

٧. خضـاب نحـور الخيـل : فكـانو إذا أدرك خيلهـم الصيـد يخضبـون نحر السابق بدم الصيد، وقد بطلت هذه العادة بعد الإسلام .

٨. وأد البنـات وقتل الأولاد ، وقد تكلمنا عنهما في الفقرة السابقة .

٩. حبـس البلايـا في الولايـا : وذلـك أن الرجـل إذا مـات - كـانوا

يشدون ناقته إلى قبره ، ويقبلون برأسها رئيها ، ويغطون رأسها بولية (بردعة) فإذا أفلتت لم ترد عن ماء ولا مرعى ، ويزعمون أنهم إذا فعلوا ذلك حشرت معه في الميعاد ليركبها .

١٠. الهامة : كانوا يزعمون أن الإنسان - إذا قتل ولم يطالب بثأره - خرج من رأسه طائر كالبومة يسمى الهامة ، وصاح اسقونى حتى يطالب بثأره .

١١. تصفيق الضال : كان الرجل - إذا ضل في الفلاة - قلب ثيابه ، وحبس ناقته ، وصاح في أذنها بكلمات خاصة ، وصفق بيديه ، ثم يحرك الناقة ، فيزعمون أنها تهتدى إلى الطريق .

١٢. ضرب الثور ليشرب البقر : كانوا يزعمون أن الجن تركب الثيران فتصد البقر عن الشرب ، فيضربون الثور ليشرب البقر.

١٣. مسح الطارف عين المطروف : كانوا يزعمون أن الرجل إذا طرف عن صاحبه فهاجت ، فمسح الطارف عين المطروف سبع مرات سكن هيجانها .

١٤. كى السليم من الإبل ليبرأ الجرب منها : كانوا يزعمون أن الإبل إذا شمت رائحة كى الصحيح ، برأت من جربها .

١٥. ذهاب الخدر من الرجل :كانوا يقولون إن الرجل إذا خدرت رجله، فذكر أحب الناس إليه ذهب الخدر.

١٦. ومن تخيلات العرب وخرافاتهم أن الغلام منهم كان إذا سقطت

له سنّ أخذها بين السبابة والإبهام، واستقبل الشمس إذا طلعت وخذف بها، وقال يا شمس أبد لينى أحسن منها ولتجر في ظلمك إياتك وهو شعاع الشمس، قال طرفة بن العبد البكري:

سقته اياة الشمس إلا لثاته أسف ولم تكدم عليه بإثمد

١٧. العيافة : وهى زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها واتجاهاتها وممراتها ، وبذلك يتشاءمون ويتفاءلون .

١٨. النهيق لاتقاء الوباء: كانوا يعتقدون أن الرجل إذا قدم قريته، وخشى وباءها، ونهق قبل أن يدخلها مثل الحمار، لم يصبه الوباء .

١٩. التفقئة والتعمية : وذلك أنه كان إذا بلغت إبل أحدهم ألفاً فقأ عين الفحل ، فإذا زادت عن الألف فقأ عينه الأخرى ، ويزعمون أن ذلك يكف العين عنها .[١]

الحجـــاز :

كانت الحياة في الحجاز تختلف عن الحياة في المواضع الأخرى، وخاصة في آخر العهد الجاهلي ، فقد وجدت في يثرب ومكة الحضارة المحدودة ، بوجود نظام اجتماعى محدود ، وقد انتقلت مكة في منتصف القرن الخامس الميلادي من طور البداوة إلى طور الحضارة وخضعت لنظام يقوم على اتفاق طوعى وتفاهم جماعى وكان ذلك على يد قصى

---

[١] عصر ما قبل الإسلام، محمد مبروك نافع.

ابن كلاب جد النبى صلى الله عليه وسلم الخامس .

وساعد على هذا التضامن والتسامح في الحياة وجود البيت في هذا الوادى ، وكان يتمتع به جيرانه وسدنته من شرف ومكانة وأمن ، وتوجهت كثير من القبائل الغربية إليها فازداد العمران ، وحلت البيوت المرصوفة بالحجر محل الخيام، وكانت الرحلات التجارية لقريش إلى الشام واليمن مصدر خير كثير مادياً وثقافياً واجتماعياً، فكان منهم مترفون لهم مجالس سمر ، ينشدالشعراء فيها الشعر، ويحضرها بعض كبار الشعراء ، ونشأت فيها بعض الصنائع ، وقامت أسواق تجارية ، وكانت مكة وأهلها مثلاً في الجزيرة العربية في سلامة الذوق ، والظرافة والإناقة، وكانت لغتهم في العصر الجاهلي هى الميزان وهى المرجع وعليها الاعتماد، وكانوا أبلغ العرب وأفصحهم تعبيراً ونطقاً، وكان قولهم حجة في صحة الكلام وسلامته وجودته ،[1] وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه السعادة والأمن في سورة قريش ﴿ لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا ربّ هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾.

منـــاخ بلاد العرب :

إذا نظرنا إلى بلاد العرب على اعتبار أنها قريبة من خط الاستواء ، و أنها إقليم قاحل ، فإننا نعدها من الأقاليم الحارة في العالم ،

---

[1] أبو الحسن على الحسنى الندوى (السيرة النبوية).

ولكن حرارتها مع ذلك لا تقارن بحرارة بعض البلاد الأخرى كصحراء السند و بلاد العراق ، و قد سجلت أقصى درجات الحرارة في نجد ، فوجد أنها لا تزيد عن ١١٢ فارنهيت (نحو ٤٥ مئوية) و وجد أن أدنى درجة حرارة هى ١٨ فهرنهيت وهى دون درجة التجمد ، و قد سجلها في الحائل أحد العلماء سنة ١٨٩٣م ، و تمتاز الأقاليم الوسطى بمناخ صحى بسبب جفاف الجو و بخاصة عندما يهب نسيم الشمال المنعش، و لكن حرارة الجو تزداد عندما تهب رياح من الجنوب ، والجو عند السواحل على وجه العموم أقل حرارة منه في قلب الجزيرة ، إذ لا يزيد متوسط درجة الحرارة عن ٩٥ فهرنهيت، وتتمتع عمان بجو معتدل لا تطرف فيه ، و لكن منطقة مدين تشتد فيها البرودة في الشتاء لدرجة يسقط معها البرد .

و إذا استثنينا بلاد اليمن التى تقع في منطقة الرياح الموسمية ، والتى تنزل أمطارها في شهور الصيف ، وبلاد عمان التى يسقط فيها المطر (و في بعض الأحيان البرد) أمكننا أن نقرر أن بلاد العرب بلاد عديمة الأمطار أو قليلتها ، ولا يتجاوز ما يسقط من المطر في عدن و على ساحل البحر الأحمر في العام ٣ بوصات ، و إذا أمطرت السماء في هذه الجهات أمطرت وابلاً، و لكنه لا يستمر إلا بضع ساعات ، و ينزل بعض المطر في قلب الجزيرة و في المناطق الواقعة إلى الغرب منه في فصل الشتاء ، كما تمطر السماء قليلاً على هذه الجهات في شهر أغسطس أو

سبتمبر، و تقاسى مساحات شاسعة في بلاد العرب، و بخاصة في الغرب والجنوب من الجفاف، ولكن ما ينزل من الأمطار على وجه العموم يكفي لأن يجعل الصحراء تزدهر في فصل الربيع، و يساعد الواحات على إنتاج شئ من الزرع، و حظ جبال الحجاز وافر في الغالب من الأمطار، و تمتاز الطائف بأنها تقع عند المرحلة النهائية، التى تصل إليها الرياح الموسمية في سيرها شمالاً.

و أما الصحراء الجنوبية فربما لا يصيبها الرذاذ ساعة واحدة كل ثلاث أو أربع سنوات.

أما بلاد حضرموت فلا تسقط فيها أمطار لأن شواطئها توازى الرياح الموسمية في هبوبها، والرياح السائدة في شمال بلاد العرب إما شرقية أو غربية، وتحمل الأخيرة منها الأمطار من ناحية البحر الأبيض المتوسط و تجتاز بها فلسطين، و فيما عدا هذه المنطقة تتبادل الرياح الشمالية والرياح الجنوبية الهبوب على بلاد العرب، فأما الجنوبية فتحمل ما تحمل من أمطار في الشتاء، كما تحمل لفحات الحر في الصيف، و أما الشمالية فإنها في الغالب تلطف الجو.

نبـــات بلاد العرب :

دلت الأبحاث العلمية التى قام بها علماء النبات في جهات متعددة من بلاد العرب، على أن نباتات بلاد العرب تمت بصلة إلى نباتات أفريقية أكثر من صلتها بنباتات آسيا الجنوبية.

تنبت في هذه البلاد أنواع مختلفة من التين والتمر الهندى والخرنوب كما تكثر غابات العرعر في بلاد اليمن وعسير ومدين .

ويزدهر نخيل البلح ازدهارًا في كل مكان ، وينتج أنواعًا من أحسن أنواع البلح في العالم ، وتعتبر النخلة ملكة الأشجار العربية، وقد ذكر كتاب العرب القدامى أكثر من ١٠٠ صنف من البلح ، وتنمو أشجار الأثل في كثير من المناطق الصحراوية ، كما تغرس في بعض الأحيان على شكل أسوار حول المزارع لتمنع طغيان الرمال المتحركة من إتلاف الزرع ، وفي معظم الواحات تزرع الأعناب والخوخ والبرقوق و الرمان والتين .

ويزرع البرتقال والسفرجل في المناطق المرتفعة ، والموز في بعض الوديان الصالحة نحو الجنوب .

ومن الحبوب تزرع أنواع عدة أهمها القمح والشعير والذرة والدخن ، وفي بعض أقاليم الحجاز يزرع البطيخ ، كما يزرع بكثرة في جهات عدة الفجل والخيار والبصل ، وتشتهر الطائف وغيرها من الجهات المرتفعة بزراعة الورد الذي يستخرج منه عطر الورد بكميات محدودة ، كما تزرع بعض الأزهار ذات الروائح الزكية كالياسمين لنفس الغرض .

ولا تزال شجرة البخور التى كانت أهم سلعة في الحياة التجارية الأولى لبلاد العرب الجنوبية ، تزرع على المرتفعات الموازية للساحل

الجنوبي، و خاصة في مهرة والشحر.

ومن النباتات الصحراوية التى ورد ذكرها في الشعر العربي، السمرة، البان، الطلح، السدر، الحناء، السلم الضال، الغرار، الإراك، الحنظل، الخزامي، العناب، الاقحوان، النعمان، الأسل، الأثل.

يقول شاعر:

بلى إن بالجزع الذي ينبت الغضا
الىّ وإن لم ألقـــه لـــداويـــا

وقال شاعر:

فجاء كخوط البان لا متتابع
ولكن بسيما ذى وقار وميسم

وقال شاعر:

تمتع من شميم عرار نجد
فما بعد العشية من عرار

ويقول شاعر

يبارين الأعنة مصعدات
على أكتافها الأسل الظماء

ويقول تأبط شرا

أهز بـــه في ندوة الحى عطفـــه
كما هز عطفى بالهجان الأوارك

وقال حسين بن مطير

يمنيننا حتى ترف قلوبنا

رفيف الخزامى بات طل يجودها

حيوان بلاد العرب

أشهر أنواع الحيوان البرى الأسد والفهد والنمر، والضبع والثعلب والذئب، وابن آوى والوعل واليربوع، وبقر الوحش وحمار الوحش والخنزير والأرنب والغزلان والظباء.

ومن الحيوان المستأنس الإبل والخيل والشاة والماعز والحمير والبقر والجاموس والبغال والقردة والنسانين والكلاب.

وفي بلاد العرب من الطيور النعام والقطا والحجل والكروان، والغراب والبجع والرخم، والهدهد والنسر والحدأة.[1]

---

[1] عصر ما قبل الإسلام، محمد مبروك نافع.

الفصل الثانى

اللغة العربية، نشأتها، وتهذيبها وخصائصها

اللغـــة العربيـــة :

امتازت الجزيرة العربية على سعتها و ترامى أطرافها و تشتت قبائلها بوحدة اللغة التى كانت أداة تفاهم و التقاء لجميع أبناء هذه الجزيرة حضرهم و بدوهم ، القحطانى منهم والعدناني ، و قد عرف العرب بعناية زائدة بلغتهم و حرصهم على الإفصاح و حسن البيان والتمسك الشديد بقيمها وموازينها و الرجوع إلى الفصحاء لتهذيب اللغة وتنقيح البيان مالايوجد له مثيل في الأمم الأخرى ، و كانت هذه الوحدة اللغوية التى امتازت بها هذه الجزيرة من أهم الأسباب لتيسير مهمة الدعوة الإسلامية و سرعة انتشار الإسلام كما كان نزول القرآن فيها ضماناً لبقاء اللغة و خروجها من الصحراء لتغزو العالم كله ، فكان

القرآن وقاية لها و مبعث خلودها .

نشأة اللغة العربية و تطورها :

اللغة العربية هى إحدى اللغات السامية الباقية التى نشأت في أقدم موطن للساميين و هو الحجاز و نجد و ما إليها ، وهى أقدم اللغات الحية التى تحتفظ بخصائصها الأولى . أما اللغات الأخرى فقد طرأ عليها تعديل و تحريف فقدت به خصائصها الأولى ، إلا أن مراحل نشأتها الأولى قبل نضجها وتهذيبها غير معروفة لأن العلماء لم يجدوا آثارًا تلقى الضوء على حالتها الأولى قبل نضجها وتهذيبها ، و أقدم ما وصل إلينا منها هوالأدب الجاهلي الذي يمثل عنفوان اللغة و اكتمالها . و لا بد من أنها تكون كلغات أخرى مرت بمراحل التطور ، و يرى بعض المحققين أن اللغة العربية الفصحى هى اللغة التى كان يتكلم بها الساميون قبل انتقالهم إلى مناطق أخرى ، و هى اللغة الفصحى للساميين . أما البابلية والكنعانية والآرامية فهى لهجات[1].

كان المتكلمون بهذه اللغة في أقدم العصور منقسمين إلى قبائل مختلفة ، بعضها يعيش في البوادى وبعضها في الحواضر ، و كانت الأحوال والبيئات لكل قبيلة تختلف ، و كان لهذا الاختلاف في طبيعة الحياة تأثير على النطق فكثرت ثروة الكلمات للتعبير بمقتضى الحياة .

---

[1] مجلة "المجمع العلمي العربي" دمشق ٦: ٥٢٩-٦٢٣ تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ

ولوجود عناصر الالتقاء بين مختلف القبائل و أفرادها، أهمها الحروب والتجارة وانتقالها من مكان إلى مكان بحثًا عن موارد الحياة وحضور موسم الحج ، أتيحت لهذه القبائل فرص التبادل والاحتكاك اللغوى والثقافى .

أفصح العرب :

كانت الفترة التى سبقت الإسلام بحوالى مائة سنة فترة أنهكت الحروب و الصراعات الداخلية فيها عدة قبائل كبرى في الجزيرة العربية، وتعرضت هذه القبائل للتشرد والتشتت ، وظلت مكة و ما جاورها من المناطق في نجوة من هذه الحروب ، و خاصة قريش التى تجنبت مثل هذه الصراعات ببعض الأحلاف ، و روح التزامل ، و ما كانت تتمتع به من مكانة دينية و اجتماعية و ثقافية و اقتصادية لرحلاتها إلى الخارج و اتصالها بالقبائل المجاورة ، و لوجود أهم الأسواق العربية في أراضيها ، فكانت القبائل الأخرى تنظر إليها بعين الاحترام ، وتقلد لهجتها و تحاكيها . فصارت لغة قريش لغة التفاهم بين القبائل ، و لغة الأدب و الشعر و الخطابة بغزارتها و رقتها وسعتها، و كانت للقبائل الأخرى لهجات و ألفاظ مختلفة و لكنها كانت تحترز عن هذه الألفاظ الإقليمية حرصًا منها على تقليد لهجة قريش .

قال الفراء كانت العرب تحضر المواسم في كل عام و تحج البيت في الجاهلية و قريش يسمعون لغات العرب ، فما استحسنوه في لغاتهم

تكلموا به، فصاروا أفصح العرب و خلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستقبح الألفاظ .

قال ابن فارس في فقه اللغة :

"أجمع علماؤنا بكلام العرب و الرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم و أيامهم و محالهم أن قريشًا أفصح العرب ألسنة و أصفاهم لغة، و ذلك أن الله تعالى اختارهم من جميع العرب و اصطفاهم و اختار منهم نبى الرحمة محمدًا صلى الله عليه وسلم فجعل قريشاً قطان حرمه و جيران بيته الحرام و ولاته ، فكانت وفود العرب من حجاجها و غيرهم يفدون إلى مكة للحج ، و يتحاكمون إلى قريش في أمورهم ، و كانت قريش تعلمهم مناسكهم و تحكم بينهم .

و كان هذا الالتقاء بالقبائل المختلفة فرصة سانحة لقريش لتخيير الألفاظ الطيبة و انتقائها ، و تنمية ثروتها اللغوية و الأدبية .

و كانت قريش مع فصاحتها و حسن لغاتها و رقة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا في كلامهم و أشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائرهم وسلائقهم التى طبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب [1] .

الفصاحة في مضر و من أشهرها كنانة و من بطونها قريش ومن

---

[1] الصاحبى .

أفصح القبائل الذين هم مادة اللغة قيس و تميم و أسد ، وعليا هوازن [1] وهذه القبائل كلها كانت تسكن في بوادى نجد والحجاز، و إليها كان يرحل الرواة ، ويقول ابن خلدون : كانت لغة قريش أفصح اللغات وأصرحها لبعدها عن بلاد العجم من جميع جهاتها ، ثم من اكتنفهم من ثقيف و هذيل و خزاعة و بنى كنانة و غطفان و بنى أسد و تميم ، أما من بعد عنهم من ربيعة و لخم وغسان ، وعرب اليمن المجاورين للفرس والروم والحبشة فلم تكن لغاتهم تامة الملكة لمخالطتهم العجم [2].

كان لشيوع اللغة العربية و انتشارها عاملان أساسيان و هما الأسواق العربية و أيام العرب .

أشهر الحروب أو الأيام كما أطلق عليها مؤرخو العرب .

---

[1] وهم خمس قبائل منها سعد بن بكر و جشم بن بكر ونضر بن معاوية و ثقيف وأفصحها سعد بن بكر

[2] تاريخ آداب العرب للرافعى

حروب الأوس والخزرج

يـــوم سمير:

سببه : أن رجلاً يقال له كعب بن العجلان من بنى ذبيان - نزل على مالك ابن العجلان زعيم الخزرج محالفه ، وأقام معه ، فخرج كعب يومًا إلى السوق، فرأى رجلاً من غطفان و معه فرس وهو يقول :" ليأخذ هذا الفرس أعز أهل يثرب " فقال رجل : فلان الأوسى ، و قال غيره : فلان الخزرجى ، و قال ثالث : فلان اليهودى أفضل أهلها ، وقال رابع : مالك ابن العجلان فدفع الغطفاني الفرس إليه ، فقال كعب : ألم أقل لكم إن حليفى مالكاً أفضلكم ، فغضب لذلك رجل من الأوس يقال له سمير وشتمه وافترقا ، ثم حدث بعد ذلك أن كعبًا قصد سوقاً لهم بقباء ، فقصده سمير و انتظر حتى خلت السوق فقتل كعبًا وأخبر مالك بن العجلان بقتله ، فأرسل إلى آل سمير يطلب قاتله ، فقالوا لا ندرى من قتله ،وترددت الرسل بينهم ، هو يطلب سميراً وهم ينكرون قتله ، ثم عرضوا عليه الدية فقبلها ، و كانت دية الحليف فيهم نصف دية النسيب، فأبى مالك إلا أخذ دية كاملة ، ولج الأمر بينهم حتى آل إلى المحاربة، فاجتمعوا و اقتتلوا قتالاً شديدًا و افترقوا ، ثم التقوا مرة أخرى

واقتتلوا ، حتى حجز الليل بينهم ، وكان الظفر يومئذ للأوس ، ثم أرسلت الأوس تطلب أن يحكم بينهم المنذر بن حرام الخزرجي جد حسان بن ثابت الشاعر ، وأجابهم إلى ذلك ، وحكم المنذر : أن يعطوا كعبًا حليف مالك دية الصريح ، ثم يعودوا إلى سنتهم القديمة ، وفرحوا بذلك وحملوا الدية ، وافترقوا وقد تمكنت البغضاء والعداوة في نفوسهم .

يوم السرارة :

وسببها أن رجلاً من بني عمرو من الأوس ، قتله رجل من بني الحارث من الخزرج ، فعدا أهل القتيل على القاتل وقتلوه غيلة ، وعرف ذلك أهله ، فكانت حرب بين الفريقين شديدة ، حمل رأية الخزرج فيها عبدالله بن سلول ، ورأية الأوس حضير بن سماك ، وصبر القوم بعضهم لبعض أربعة أيام ، ثم انصرفت الأوس إلى دورها ، ففخرت الخزرج بذلك .

يوم حاطب:

توالت الحروب بعد يوم السرارة ، حتى إذا مرت مائة سنة من يوم سمير إذ بحرب تعرف بيوم حاطب وقعت بين الفريقين ، وسببها: أن حاطباً الأوسي- و كان شريفًا سيدًا في قومه - أتاه ضيف من بني ثعلبة ، ثم غدا يومًا إلى سوق بني قينقاع فرآه يزيد الخزرجي ، فقال لرجل من اليهود : لك ردائي إن كسعت هذا الثعلبي ، فأخذ الرداء وكسعه ، فنادى الثعلبي : يا لحاطب كسع ضيفك وفضح ، وعرف

حاطب بالأمر ، فجاء و ضرب اليهودى بالسيف فقتله ، وعلم يزيد الخزرجى فأسرع خلف حاطب فلم يدركه ، فقتل رجلاً من أهله ، فقامت الحرب بين الأوس والخزرج ، وسعى بينهما جماعة من فزارة بالصلح ، فلم تفلح مساعيهم ، و استمرت الحرب بينهما سجالاً ، يومًا للأوس و يومًا للخزرج ، حتى انتهت بظفر الخزرج : وتجددت الحرب بعد ذلك. وكان الفريقان يتصالحان على الديات ، و طال أمر الحرب حتى سئمت الأوس ، فصارت إلى قريش بمكة تطلب محالفتها ، فأجابت قريش طلب الحلف، ثم تحللت منه فطلبت الأوس إلى بنى قريظة وبنى النضير الحلف على الخزرج ، فأجابوهم إلى ذلك ، ثم عادوا فنقضوا .

يوم بعاث :

و تجدد الحلف بين قريظة و بنى النضير من جهة ، وبين الأوس من جهة أخرى ، و أشعلوها حربًا على الخزرج ، انضمت فيها إلى الأوس طوائف أخرى ، من اليهود و غيرهم ، و انضم إلى الخزرج جهينة، وتداعى الفريقان إلى القتال فكان بينهما يوم بعاث - و هو ناحية من أعمال قريظة على طريق مكة من المدينة غربًا ، و كان على الأوس حضير بن سماك (والد أسيد بن حضير) و على الخزرج عمرو بن النعمان ، و كان حضير يحقد على الخزرج أشد الحقد ، فلما بدأ القتال دارت الدائرة على الأوس ، ففروا نحو نجد ، فعيرهم الخزرج ، فلما سمع حضير تعييرهم -

برك وطعن بسنان رمحه فخذه وصاح : والله لا أعود حتى أقتل ، فإن شئتم يا معشر الأوس أن تسلموني فافعلوا، فعاد الأوس إلى القتال مستبسلين مستيئسين حتى هزموا الخزرج شر هزيمة ، و أخذوا يحرقون نخلهم و دورهم ، و إن كادوا ليهلكوهم - لولا أن صاح صائح فيهم : يا قوم إن جوارهم خير من جوار الثعالب ، فانتهوا عنهم و لم يسلبوهم وإنما سلبهم قريظة و بنو النضير ، وحملت الأوس زعيمها حضيرًا مجروحًا فمات ، و كذلك مات عمرو بن النعمان رئيس الخزرج ، و استعادت اليهود بعد هذا مكانها بيثرب ، وأضحى الأوس والخزرج أجراء عند اليهود ، و أدركوا أنهم أخطأوا في تطاحنهم ، و فكروا في عاقبة أمرهم ، وتطلعوا إلى إقامة ملك عليهم يجمع شملهم ، وحدث أن نفرًا من الخزرج خرجوا إلى مكة في موسم الحج ، والتقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم عن شأنهم و دعاهم إلى الله فعرفوا أنه النبى الذي كانت تواعدهم به اليهود ، فأجابوا دعوته وأسلموا.

و كانت وقعة بعاث هذه آخر الحروب بين الأوس والخزرج إلى أن جاء الإسلام ، وأجمع الفريقان أمرهم على نصرته ، و هاجر إليهم النبى صلى الله عليه وسلم من مكة ، وآخى بينهم .

حروب العدنانيين

حرب البسوس :

كان كليب بن ربيعة متزوجاً من بكرية ، تسمى جليلة بنت مرة، أخت جساس بن مرة - الذي يسمى الحامى الجار، وكان لجساس خالة تسمى البسوس، و نزل بالبسوس رجل يسمى سعدًا الجرمي ، له ناقة اسمها سراب ، وكانت ترعى مع نوق جساس ، وحدث أن كليباً خرج يومًا يتعهد الإبل ، وكانت إبله و إبل جساس مختلطة ، فنظر إلى سراب فأنكرها ، فقال جساس- وهو معه - هذه ناقة جارنا الجرمى فقال كليب : لا نعد هذه الناقة إلى هذا الحى ، فقال : جساس : لا ترعى إبلى إلا و هذه معها ، فقال كليب: لئن عادت لأضعن سهمى في ضرعها، فقال جساس : لئن وضعت سهمك في ضرعها ، لأضعن سنان رمحى في لبتك ، ثم تفرقا .

وقال كليب لامرأته : أترين في العرب رجلاً مانعاً منى جاره ، فقالت: لا إلا أخى جساساً .

ثم إن كليبًا خرج إلى الحِمى وجعل يتصفح الإبل ، فرأى ناقة الجرمى، فرمى ضرعها فولت - ولها رغاء - حتى بركت بفناء صاحبها،

فلما رأى ما بها صرخ : يا لذل ، و سمعت البسوس صراخ جارها، فخرجت إليه، فلما رأت ما بناقته وضعت يدها على رأسها و صاحت، فسمعها جساس، فخرج إليها وقال لها : اسكتى إنى سأقتل غلالا أفحل إبل كليب .

وكان لكليب عين يسمع ما يقولون ، فقال : لقد اقتصر من يمينه على غلال ، ولم يزل جساس يطلب غرة كليب ، حتى إذا خرج يومًا ركب جساس فرسه و أخذ رمحه و أدرك كليبًا فوقف كليب ، فقال له جساس: يا كليب الرمح وراءك ، فقال: إن كنت صادقًا أقبل إلى من أمامى، و لم يلتفت إليه، فطعنه فأرداه عن فرسه، و طلب كليب شربة ماء فلم يغثه، و لكنه أمر رجلاً كان معه ، فجعل عليه أحجارًا لئلا تأكله السباع ، وانصرف جساس حتى أتى أباه مرة ، و قال له : طعنت طعنة يجتمع بنو وائل غدا لها رقصًا ، لقد قتلت كليبًا ، فجعل مرة يتهيأ للحرب مع قومه، فشحذوا السيوف و قوّموا الرماح، ولما علم قوم كليب بمقتله دفنوه-و قد شقوا الجيوب و خمشوا الخدود و خرجت الأبكار وذوات الخدور و العواتك وقمن للمأتم، وقلن لأخت كليب: أخرجى جليلة امرأة كليب عنا فإنها أخت قاتلنا، فخرجت تجر أذيالها وأتت مرة .

و كان لكليب أخ إسمه مهلهل - و هو الفارس الشاعر المشهور- وكان وقت مقتل كليب يشرب مع همام بن مرة أخى جساس ، فلما أفاق مهلهل وعرف بمقتل أخيه ، جز شعره و قصر ثوبه ، و هجر النساء

وترك الغزل، و حرم القمار و الشراب ، و جمع إليه قومه ، و أرسل رجالاً منهم إلى مرة والد جساس، و هو في نادى قومه ، فقالوا له : إنكم أتيتم عظيمًا بقتلكم كليبًا بناقة و قطعتم الرحم و انتهكتم الحرمة ، وإنا نعرض عليكم خلالاً أربعًا لكم فيها مخرج ، ولنا فيها مقنع ، إما أن تحيى كليبًا ، أو تدفع إلينا قاتله جساساً نقتله به ، أو أخاه هماماً فإنه كفؤ له ، أو تمكننا من نفسك ، فإن فيك وفاء لدمه ، فقال لهم مرة " أما إحيائى كليبًا فلست قادرًا عليه ، و أما جساس فإنه غلام طعن طعنة على عجل وركب فرسه ، و لا أدرى أى بلاد قصد ، و أما همام فإنه أبو عشرة و أخو عشرة و عم عشرة كلهم فرسان قومهم فلن يسلموه بجريرة غيره.

و أما أنا فما هو إلا أن تجول الخيل جولة فأكون أول قتيل ، فما أتعجل الموت ، ولكن لكم عندى خصلتان : أما إحداهما ، فهؤلاء أبنائى الباقون فخذوا أيهم شئتم بصاحبكم ، وأما الأخرى فإنى أدفع إليكم ألف ناقة سود الحدق حمر الوبر.

فغضب القوم و قالوا : لقد أسأت ، تبذل لنا صغار ولدك وتسومنا اللبن في دم كليب.

ثم نشبت الحرب بينهم و دامت أربعين سنة ، وقال مهلهل عدة قصائد يرثى كليباً فيها ويطلب ثأره.

حرب داحس والغبراء :

السبب الذى قامت هذه الحرب من أجله بين عبس و ذبيان

يرجع إلى سوء تصرف قام به الذبيانيون في حفلة سباق أقيمت بين خيول عبس و خيول ذبيان ، و داحس اسم حصان كان يملكه زعيم من عبس ، و الغبراء اسم لفرس كان يملكها شيخ ذبيان ، و خلاصة النزاع أن صاحبى الحصان والفرس اتفقا على أن يجرياهما ، و جعلا الرهان مائة ناقة ، و يكون منتهى الغاية مائة غلوة، و المضمار أربعين يومًا ، ثم أرسلاهما إلى رأس الميدان و كان في موضع الغاية شعاب كثيرة ، فأكمن صاحب الغبراء فتيانًا اعترضوا داحس الذي كان سابقًا، و ردوه عن الغاية ، حتى برزت عليه الغبراء، و قد قام ذلك النزاع في النصف الثانى من القرن السادس ، بعد أن عقد الصلح في حرب البسوس بفترة قصيرة، و ظل الفريقان تخمد بينهما الحرب ، و تقوم مدة طويلة استمرت إلى ما بعد ظهور الإسلام ، و في هذه الحرب اشتهر عنترة بن شداد العبسي بجولاته الصادقة ، و قد عاش عنترة فيما بعد بين سنتى ٥٢٥-٦١٥ تقريبًا ، و هو يعتبر من أعظم أبطال العرب و أشهر شعراء العصر الجاهلي . ولا يخفى أن قبيلتى عبس و ذبيان ، كانتا تسكنان في بلاد العرب ، و كانت تجمع بينهما صلات القربة ، إذ كانا ينتميان - كما تقول الرواية العربية - إلى الجد الأكبر غطفان .

الأسواق :

كانت للعرب أسواق عامة للتجارة والأدب والتسلية لا يخلو منها شهر من شهور السنة ، يجتمعون في دومة الجندل أول ربيع الأول ،

ثم كانوا ينتقلون إلى سوق هجر، وكان أكبر أسواقهم سوق عكاظ، كانوا يعمرونها من أوائل ذى القعدة، ثم كانوا يغادرونها إلى ذى المجنة قرب مكة، فيقضون بها ذى القعدة، وفي أول ذى الحجة كانوا ينتقلون إلى ذى المجاز بجانب عرفة ومن ذى المجاز كانوا ينتقلون إلى عرفة، وكانت الأسواق الثلاثة الأخيرة (عكاظ، ذو المجنة، ذو المجاز) أهم أسواق العرب لأنها كانت تقام في موسم الحج، كانوا يتفاخرون فيها أنسابهم و أيامهم و أحسابهم و يتغنون بالحب و الجمال، ويعقدون العهود والمعاهدات، و كانت مواضع أمن، وكان جميع ما يقال فيها بلغة قريش لأنها كانت تقام في مكة و في مناطق متصلة بها، و قد قصد الرسول صلى الله عليه وسلم الأسواق الثلاثة الأخيرة يدعو إلى دين الله[1].

تهذب اللغة العربية وتطورها:

غلبت اللغة العربية نتيجة لاحتكاكها باللغات السامية الأخرى على سائر اللغات في المنطقة، و تطورت ثم غلبت لهجة قريش على اللهجات العربية الأخرى نتيجة للعناصر التى بيناها، فلما صارت لغة القرآن والإسلام انتشرت في العالم بانتشار الإسلام، فصارت إحدى اللغات العالمية الكبرى الثلاث، و حلت محل اللغات التى كانت تستعمل في عدة دول قبل الإسلام، و صارت اللغة القومية،

---

[1] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد على.

من المحيط الهندى إلى المغرب العربي .

إنها كانت لغة محصورة في جزيرة العرب و ما يليها من مشارف الشام والعراق و تدمر و في بادية الجزيرة (بين النهرين) و في جزيرة سيناء، حيث كانت تقيم بعض القبائل العربية ، و لكنها اليوم لغة منتشرة في غربي البحر المتوسط و جنوبيه إلى الشام و العراق و ما بين النهرين بالإضافة إلى مهدها جزيرة العرب ، و في مصر و طرابلس الغرب و تونس و الجزائر ومراكش و عدد من بلاد إفريقية الشرقية ووسطها ، و قد تعربت هذه البلاد كلها بفضل العرب الذين حملوا الإسلام إليها ، و لسائر هذه الدول مساهمة غنية في إثراء الأدب العربي، كما تفهم اللغة العربية وتدرس في بلاد المسلمين الأخرى كالهند ، و فارس وأفغانستان و باكستان و تركستان ، والصين ، و سائر البلدان التى دخلها الإسلام ، و ألف العلماء المسلمون فيها باللغة العربية ما تعتز به المكتبة العربية نظمًا و نثرًا و علمًا و أدبًا .

ما يميز اللغة العربية عن غيرها من اللغات :

مرت اللغة العربية مثل سائر اللغات الحية بتقلبات ، و نشأت في طقوس و أجواء مختلفة متنوعة ، من الصحراء و الجبال و مناطق تكثر فيها الأمطار ، وفيها الخضرة والماء ، ومناطق تقل فيها ، وكان الناطقون بها يمتازون بصدق التعبير ، و دقة المشاهدة ، و يتميزون عن غيرهم بعواطف وقادة، وشعور مرهف ، و دراسة للحياة ، ما جعل اللغة

العربية تزخر بتعبيرات ذات صلة وثيقة بواقع الحياة وأحاسيس البشر، قلما تزخر بها لغة أخرى ، فاحتوت اللغة العربية على ثروة غنية من التعبيرات الدقيقة ، وامتازت بألفاظ تؤدى فروع المعانى أو جزئياتها ، فمما تمتاز به أنها تضم أسماء و صفات كثيرة لشئ واحد ، باعتبار الأشكال و الحالات و المقادير و الأحجام ، ففيها اسم خاص لكل ساعة من ساعات الليل و النهار ، واسم خاص للطفل باعتبار الشهور و الأيام و مراحل العمر و اللون ، و أسماء لليالى و القمر و الشعر و النظر و الجلوس و القيام و حالة القيام و النوم و اليقظة ، و أسماء مختلفة للرمل وكثبانه، و الأرض باعتبار نوع التربة و لونها و لون الحصى ، و كذلك الخيام وأصوات الحيوانات و المشى وسرعة السير ، [1] و هى تزخر بألفاظ تعبر عن المعانى الذهنية والحسية و أقدارها .

نذكر بعض الأمثلة لفروع المعانى في اللغة العربية :

الجلـــوس :

الربوض للغنم ، البروك للإبل ، الجثوم للطير ، الجلوس للإنسان .

المعـــدة :

الكرش للدابة ، المعدة للإنسان ، و الحوصلة للطائر.

---

[1] راجع فقه اللغة للثعالبي للتفصيل

الامتـلاء :

فلك مشحون، كأس دهاق، واد زاخر، نهر طافح، عين ثرة، طرف مغرورق، جفن مترع، مجلس غاص بأهله، جرح مقصع (ممتلئ بالدم).

الكشـف :

حسر عن رأسه ، أسفر عن وجهه ، كشر عن أنيابه ، شمر عن ساقه ، حفيت رجله .

و مما تتميز به اللغة العربية عن غيرها من اللغات الإعراب، وهو تغير أواخر الكلم بتغير العوامل ، ودقة التعبير والإيجاز، و المترادفات والأضداد و حكاية الأصوات و الأمثال و السجع .

فاللغة العربية هى أغنى اللغات المعبرة عن المعانى المجردة والعواطف ، و أبعدها عن الخطأ في المنطق بسبب الإعراب ، و الإعجام، وأمثلة ذلك متوفرة في كتب فقه اللغة .

عناصر نمو اللغة العربية و اتساعها :

من أهم عناصر نمو اللغة العربية و اتساعها، الوضع، والاشتقاق، والنحت والتعريب.

١- الوضع أو الارتجال :

هو وضع ألفاظ جديدة للدلالة على المعانى الطارئة .

٢- الاشتقاق :

وهو أخذ كلمة من كلمة أخرى يتناسب المعنى بينهما، ويتقارب اللفظ بتغير بسيط ، و ينقسم إلى صغير و كبير و أكبر.

أما الصغير:

فهو ما اتحدت فيه الكلمتان حروفًا و ترتيبًا ، و قد وضعت له قواعد و هو موضوع الصرف .

الكبير:

و يقال له القلب و هو أن يكون بين لفظين تناسب في اللفظ والمعنى دون الترتيب كقولهم جبذ و جذب .

الأكبر:

و يقال له الإبدال ، و هو ما يتناسب في المعنى والمخرج مثلاً : نعق نهق آن و حان .

٣- النحت :

وهو كلمة مأخوذة من كلمتين أو جملة للاختصار، بأخذ حروف من كل كلمة و إطلاقها على معنى خاص مثلاً حوقل .

٤ - التعريب :

انتقلت إلى اللغة العربية ألفاظ كثيرة من اللغات الأخرى نتيجة للتعامل مع الناطقين بتلك اللغات والذين كانوا أرقى حضارة، وأصبحت هذه الألفاظ بعد فترة جزءاً من اللغة العربية وعمت وشاعت، وقد استعملت عدة كلمات من هذا القبيل في القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف، واستعملها فصحاء العرب المتقدمون، ويطلق على هذه الكلمات إسم " المعرب " واصطلح المحدثون من الباحثين على أن العرب الفصحاء هم عرب البدو من جزيرة العرب إلى أواسط القرن الرابع الهجرى ، وعرب الأمصار إلى نهاية القرن الثانى الهجرى ، و هذه العصور هى عصور الاحتجاج، أما ما استعمله المولدون من ألفاظ أعجمية لم يعرفها فصحاء العرب فيطلق عليها اسم الأعجمى المولد [١].

و قد أجرى العرب على الكلمات التى اقتبسوها من اللغات الأخرى لرعاية صوتية اللغة العربية و مزاجها ، تعديلاً في أصواتها و أوزانها و طريقة نطقها ، و ابتعدت هذه الكلمات في كثير من الحالات عن صورتها الأولى ، كما أن كثيرًا من هذه الكلمات تغير مدلولها بعد انتقالها إلى اللغة العربية، فاندمجت إلى الجو العربي ، وانقطعت عن مصدرها ، وقد ألف العلماء في هذا الموضوع كتبًا مستقلة لتمييز الكلمات

---

[١] فقه اللغة على عبدالواحد وافي ص : ١٩٣.

الدخيلة [1]. يبدو من هذه البحوث أن الكلمات المعربة التى استعملها الفصحاء من العرب لا تعدو نحو ألف كلمة على أنه ليس هناك دليل على أن العرب أخذوا هذه الألفاظ من غيرهم.

و من أشهر المفردات التى يقال إنها انتقلت إلى العربية في عصور الاحتجاج، أسماء المعادن، و الأوانى، والأحجار الكريمة و ألوان الخبز و الرياحين و المنتجات الزراعية مثل الطست و الإبريق و القصعة و الديباج والسندس والاستبرق والبلور و الزنجبيل و المسك والعنبر والكافور و أمثالها.

قال الجوهري في الصحاح: تعريب الاسم الأعجمى أن تتفوه العرب على منهجها، وقال أبوحيان: الأسماء الأعجمية على ثلاثة أقسام:

١- قسم تركوه غير مغير، كخراسان.

٢- قسم غيرته العرب، و ألحقته بكلامها فحكم أبنيته في اعتبار الأصل و الزائد و الوزن حكم أبنية الأسماء العربية الوضع كدرهم.

٣- قسم غيرته العرب و لم تلحقه بأبنية كلامها فلا يعتبر فيها ما يعتبر في القسم الأول كآجر.

---

[1] حمزة فتح الله في المعرب من القرآن الكريم، شفاء العليل فيما ورد في كلام العرب من الدخيل، لشهاب الدين الخفاجي، والمعرب من الكلام الأعجمى للجواليقى.

اختلاف لغات العرب :

كان لبعد القبائل عن الحجاز مركز اللغة العربية، و تشتتهم في مناطق صحراوية شاسعة ، و عدم كونهم مرتبطين بعضهم ببعض، ولعدم انتشار الكتابة تأثير في اختلاف الألفاظ والكلمات في تأدية المعنى الواحد، وكان موسم الحج و الأسواق كعكاظ تهيئ فرصا للاختلاط، وتهذيب اللغة، وكان لقريش دور في التهذيب في آخر العهود إلا أن بعض الميول اللغوية واللسانية ظلت باقية ، و خاصة في الشباب و الشيوخ الذين لم تسنح لهم فرص اللقاء بقريش .

و كان اختلاف اللغات من عدة وجوه ، اختلاف الدلالة للفظ الواحد كما روى أن أبا هريرة رضى الله عنه لما قدم من دوس عام خيبر، لقى النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد وقعت من يده السكين، فقال له، ناولنى السكين. فالتفت أبوهريرة يمنة و يسرة و لم يفهم ما المراد بهذا اللفظ، فكرر له القول ثانية و ثالثة ، و هو يفعل كذلك ، ثم قال: المدية تريدها، و أشار إليها فقيل له نعم ، فقال أو تسمى عندكم سكينًا، ثم قال والله ما سمعتها إلا يومئذ، و بذلك كثرت الألفاظ للمعنى الواحد، وعدت مترادفات في عصر التدوين، ومثل هذا الاختلاف طبيعى يوجد في كل لغة، ومن أجل هذا الاختلاف في الاستعمالات اللفظية، توفرت الألفاظ لتأدية المعنى الواحد في اللغة العربية، فقد جمعت هذه الألفاظ من البوادى ، و دونت في المعاجم فصارت جزءًا من اللغة العربية، وعدت مترادفات .

ومن اختلاف النطق ، إبدال الهمزة عينًا في أول الكلمة كعسلم في أسلم لدى تميم :

إبدال الجيم عينًا كعرب في جرب لدى هذيل .

إبدال العين نونًا كأنطى في أعطى لدى بنى سعد، وكان بنو تميم ينطقون " ك " و لا تنطق به القبائل الأخرى .

كانت قريش و أسد تفتح أول حرف المضارع، أما القبائل الأخرى فكانت تكسره .

و كانت ربيعة و مضر تضيف الشين في خطاب المؤنث كعليكش بدل عليك .

الاختلاف في الهمزة والتليين نحو مستهزؤن و مستهزون .

الاختلاف في التقديم و التأخير نحو صاعقة ، وصاقعة .

الاختلاف في الحذف والإثبات نحو استحييت، استحيت وصدرت أصدرت .

الاختلاف في صورة الجمع نحو أسرى و أسارى .

اختلاف التضاد كقول حمير للقائم ، ثب أى اقعد .

و في الحديث أن عامر بن الطفيل قدم على رسول صلى الله عليه وسلم فوثبه أى افترشه إياها ، والوثاب ، الفراش بلغة حمير[1].

كانت أفصح القبائل الذين هم مادة اللغة ، قيس و تميم و أسد

---

[1] فقه اللغة لابن فارس .

والعجز من هوازن وهم عليا هوازن وهم خمس قبائل ، سعد بن بكر وجشم ابن بكر ونصر بن معاوية وثقيف ، وأفصح هذه القبائل كما قال أبو عبيدة: سعد بن بكر ، وقال أبو عمرو بن العلاء : أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم ، ولهذا كان لا يكتب في المصاحف برأى عمر وعثمان إلا كاتب من ثقيف ، وتلك القبائل كانت تسكن في بوادى نجد والحجاز وتهامة ، و بقيت معادن الفصاحة زمنًا بعد الإسلام وإليها كان يرحل الرواة .

الفصل الثالث

الأدب، تعريفه، وأقسامه، وصلته بالعلم، والدين

تعريف الأدب:

الأدب: هو الكلام المتضمن للأخيلة الدقيقة والمعاني الرقيقة أو الكلام الذين يؤثر على النفوس و يثير العواطف، و يهذب النفس ويرقق الحس والخيال ويثقف اللسان.

يتناول الأديب في كلامه إما تجارب حياته و أحاسيس نفسه ويعرضها بطريق يشخصها و يشرك في إدراكها غيره، أو يصور تجارب حياة غيره و أحاسيسه بطريق تصبح صورة للحياة وتعبيراً صادقًا للأحاسيس.

لا يقتصر الأدب على رقي العقل ولا سمو الفكر و العلم في إنتاجه وإنما مصدره الوجدان، والشعور، والقدرة على التعبير عنه، فلا يخلو دور من أدوار الحياة لأي أمة من الأمم من الإنتاج الأدبي.

الأدب أكثر ظهوراً في الشعر:

الأدب في الأمم البدائية و غير المتعلمة يظهر في الشعر، لأنه أيسر للحفظ و الرواية، أما النثر الفني فلا يظهر إلا بعد نشأة الكتابة، فيقتصر الإنتاج الأدبي في الأمم التي لا تعرف الكتابة على الشعر، ولذلك قصر المؤرخون القدامى تعبير الأدب على الشعر، والواقع أن صلة الإنسان بالشعر أقدم من صلته بالنثر الفني و أكثره، فكلما جاش صدره بالعواطف لجأ إلى الشعر، ولذلك لا يفقد الشعر أهميته مهما ارتقى الإنسان في العلم و التفكير لأنه حديث القلب، وفيض الخاطر.

فالأدب إذا هو التعبير الشعوري عن طريق اللفظ، والكلام الذي يتضمن الأحاسيس والمشاعر، و وصف الأحزان، والأفراح، والأحلام و الأماني، أو تعبير مؤثر عن واقع الحياة بطريق فيه تصوير للحياة، و تشخيص للمعاني المجردة سواء يتعلق ذلك بحياة المنتج، أم كان يتصل بحياة الآخرين من بني الإنسان، إنه كلام يحسن سماعه و يؤثر في القلب، و يتغير الأدب و يتطور الحياة ونمطها و يتخذ ألوانًا و مناهج، كما يختلف الأدب باختلاف طبائع المنتجين، ويصطبغ بنفسية الأديب كاليأس والفرح والتشاؤم والتفاؤل، والسلبية والإنفعال، والتمسك بالقديم، أو حب الجديد، وتظهر هذه المعاني في الأدب، و إن هذا الإختلاف في التجاوب والإنفعال كان سبباً مباشراً لإختلاف الأساليب والمناهج التي أحدثت مذاهب أدبية، ويختلف الأدب عن الفن، فالأول

يعتمد الألفاظ للتعبير عن المعاني، والثاني يعتمد غالباً على حركات، وأصوات و رسوم غير الألفاظ.

الأدب والعلم:

و يختلف الأدب عن العلم لأن العلم يعتمد على التجاوب والواقع أكثر مما يعتمد على الخيال والمشاهدة والوجدان، والعلم المجرد يتغير و تبلى جدية لأن كل تجربة و دراسة للظواهر تغير التجربة السابقة، أما الأدب فيحتفظ بجدته و جماله مدة أطول لأنه يقوم على العاطفة و الشعور.

تطور كلمة الأدب و معناها:

أصل الأدب الدعاء، و منه قيل للوليمة مأدبة، وهو الطعام الذي يدعى إليه الناس، و الأدب حسن التناول للأمور و التصرف في الحياة، يقال أدب فلان إذا ظرف و كان ذا أدب، وقد كانت كلمة الأدب مقصورة على حسن الشيم و الأخلاق و المكارم و التأنق في الكلام و الحياة، ثم توسع استعمالها فاستعملت للكلام الجيد المهذب.

قال رسول الله ﷺ : "أدبني ربي فأحسن تأديبي"، و جاء في المثل "نعم المؤدب الدهر"، و شرح بعض الأدباءكلمة الأدب بالسليقة التناسب برعاية اللفظ والمسمى، و رعاية التناسب بين الألفاظ، و رعاية أقدار الناس و اقتضاء الحال، و أكدوا على أن يشتمل الكلام على المحامد، وحسن الأخلاق لأنها مادة الأدب، فإذا كان الأدب هذا شأنه فإنه كلام

يهذب النفس و يرقق الحس و يثقف اللسان، و قال شاعر:

أكنيـه حين أناديـــه لا ألقبــه كذاك أدبت إن السوءة اللقبا

أطلق هذا اللفظ على الكلام و الآثار التي تؤدب اللسان و تحسن خلق الإنسان، فأفضل الآداب ما يولد ملكة التمييز بين الحسن و القبيح من الكلام ومن العمل، فأطلقت على المربين في العصر الإسلامي كلمة المؤدبين، ثم توسع استعمالها لأن مادة التعليم في ذلك العصر كانت تقتصر على الرواية بالخبر والنسب والشعر واللغة و نحوها فأطلقت على كل ذلك، قال ابن خلدون: "إنما المقصود عنه عند أهل اللسان ثمرته و هي الإجادة في المنظوم و المنثور على أساليب العرب و منهاجهم".

لم يشع استعمال كلمة الأدب بهذا المعنى إلا في القرن الثاني و قبل ذلك كان الناس يسمعون ما يقرب من ذلك بعلم العرب ثم أطلقت كلمة الأدباء على المؤدبين بعد أن شاعت كلمة الأدب للعلوم العربية.

و في القرن الرابع استعمل كلمة الأدباء على الشعراء والكتاب و بدأ الناس يميزون بين علماء و أدباء، وقد كان رجال القرن الثالث جامعين بين العلوم العربية و آدابها كالمبرد والجاحظ و ثعلب و ابن قتيبة.

علوم الأدب:

علوم الأدب ثمانية: النحو، واللغة، والتصريف، والعروض، والقوافي، و صنعة الشعر، و أخبار العرب وأنسابهم، و عرف الزمخشري علوم الأدب بأنها علوم يحترز بها من الخلل في كلام العرب لفظاً

وكتابة، و هي اللغة و الصرف والاشتقاق، والنحو، والمعاني والبيان والبديع، والعروض و القوافي.

و منها فروع وهي الخط و قرض الشعر والإنشاء والمحاضرات و منه التواريخ.

أما كتب الأدب التي هي من شروط الأدب فكثيرة، وأصولها كما قال ابن خلدون أربعة دواوين وهي: أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، و كتاب البيان والتبيين للجاحظ، و كتاب النوادر لأبي على القالي، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها و فرع لها.

و من الكتب المشهورة الأخرى العقد الفريد لابن عبد ربه، و كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، والأمالي لابن الشجري، والتذكرة لصلاح الدين الصفدي، وخزانة الأدب للبغدادي، و يتيمة الدهر للثعالبي و إصلاح المنطق لابن السكيت، و زهر الآداب للحصري، والمثل السائر لأبي هلال العسكري.

الأدب و الدين:

يعتمد الدين على الأحاسيس القلبية و الشعور النبيل و الخضوع أمام الخالق والتذلل له، و الولاء له كل الولاء، و يبرز في الكون مواضع الجمال و القبح، والقوة و الضعف، ويوجد في الإنسان ملكة التمييز بين الخير والشر، و يقوى العاطفة و قوة التخييل وهما عنصران هامان لوجود الأدب لأن الشعور بالخوف، والحياء، والولاء، يشغل القلب أكثر

من شعور آخر، و تتوفر هذه المشاعر بالعلاقة بالدين، لأن مجال الدين يشمل الإنسان والحياة، والكون و خالق الكون.

فعلاقة الأدب بالدين علاقة أقوى من علاقته بأي موضوع آخر، ولذلك نرى أن بداية الأدب مرتبطة بالدين، مهما كان نوع ظهوره، سواء ظهر في الترانيم و الأناشيد في حمد الخالق، أو التعبير عن شعور العبد لربه وخشوعه أمامه والتذلل له، ثم تطور فبدأ يصور الإنسان إزاء المحيط الذي يعيش فيه ، ثم ظهرت أناشيد قومية من فخر و حماسة، ومدح، وتعليم و تربية، ثم تطور إلى التسلية و الإستمتاع و التغني بسعادة الحياة و شقائها، و عندما يفسد ذوق الإنسان، ويعاني من الفراغ و يقهره حب الذات و جانب اللذة في الحياة، يعم أدب التسلية والمجون و يتوفر هذا القسم عادة في عهد الإنحطاط الخلقي.

فالأدب لقوته و تأثيره و سرعة انتشاره و صلاحيته لتحريك القوى وتهييجها سلاح قوى، وقد يصبح سلاحاً فتاكًا يقف عليه مصير الشعب وكلما انفلت زمامه أو أرخى حبله أصبح أداة تضليل و تمويه و تشتيت، و تدمير وفساد، بإثارة الإحن و الأحقاد، والعصبيات والغرائز البهيمية و يصبح سلعة رخيصة تباع و تشتري.

و أمثلة هذا النوع من الأدب كثيرة ، في كل لغة ولا يخلو منه التاريخ العربي القديم و التاريخ المعاصر.

يدعو الإسلام إلى أن يقتصر الأدب على القيام بواجبه ولا يطلق

زمامه ولا يرسل إرسالا مطلقًا فيعبث بالقيم، و يقوض كيان المجتمع، ويبث الإنحلال و يخل بالأمن و يحول في طريق مسؤلية نظام واع يحرص على سلامة العقيدة، وسلامة الحياة من عبث العابثين.

عناصر الأدب:

يعتمد الأدب في الظهور على أربعة عناصر: العاطفة، والخيال، والفكرة، والصور اللفظية.

أقسام الأدب:

ينقسم الأدب بإعتبار الصورة اللفظية إلى النظم والنثر.

النظم:

هو كلام مقيد بالوزن والقافية و تتوفر فيه العاطفة و الوجدان.

النثر:

هو كلام لا يتقيد بهما، وهو مجال عام للمتكلم وهو أقرب إلى العقل منه إلى العاطفة.

مجال الإنتاج الأدبي:

يقصر أديب عمله على ما أثر من أقوال، وحكم فيتناول ما أنتجه الآخرون في معالجة قضايا الحياة من سعادة و شقاء، و تجارب

الحيـاة، أو مشـاعر و أفكـار، و يبحثهـا في أعمالـه في النقـد والتقريـظ والشرح، ويعـد هـذا الصنـف مـن الأدب أدبـا توصيفيـاً و أديـب يـدرس الحيـاة دراسـة مباشـرة و يخيلهـا لغـيره و يفسـرها، ويـدرس العواطـف الإنسـانية و يصورهـا أو ينقـل مـا يختلـج في قلبـه مـن أفكـار و أخيلـة، ويصـف مشـاهد الطبيعـة، وهـذا العمـل الأدبـي الـذي يقـوم بـه الأديـب والإنتاج الأدبي المباشر، هو الأدب الإنشائي.

النقـــد:

هو معرفة و تفسير مواضع الجمال والقبح في الكلام منثوراً كـان أو منظومـاً واستكشـاف مواضـع القـوة و الجمـال، و تقييـم الإنتـاج الأدبـي، وتحليله، وهو إما أن يكون على أساس الذوق المجرد، أو على أساس الموازين المقررة لتقدير الكلام، أما النقد على أساس الذوق، فيعـرف بـالنقد العملـي وهو قديم قدم الإنتاج الأدبي فقد كـان يوجد هذا النقد في العصر الجاهلي، والنقد العلمي متأخر، و يرجع إلى القرن الثالث.

و كلمة النقد لم تأخذ معناها الإصطلاحي إلا في العصر العباسي، مثـل كلمـة الأدب الـتّي بـدأ اسـتعمالها في المعنـى المـراد اليـوم في العصـر العباسي، أما قبل ذلك فكان النقد يستخدم بمعنى الذم والإستحسان، و كـان الصيارفـة يسـتخدمونه في تمييـز الصحيـح مـن الزائـف في الدراهـم والدنانير و منهم استعاره الباحثون في النصوص.

التاريخ:

التاريخ يتناول كل الآثار العقلية والشعورية، ويستعقب أدوار التاريخ و يبحث العوامل الإجتماعية و السياسية والعقلية، والعلوم والفنون والإنتاج الأدبي و المؤثرات الأدبية ويوفق بين وقائع التاريخ و يعلل الأحداث، بأسلوب سهل للسرد والحكاية.

البلاغة:

يتناول علم البلاغة اللفظ والمعنى مثلما يتناوله النقد، والفرق بينها وبين النقد دقيق، فالنقد يقرر القواعد النظرية ويطبق بين هذه القواعد للتعبير و بين العواطف والمشاعر، أما البلاغة فهي تعني بالشكل و صورة الكلام و تبيين ما فيه من تشبيهات و استعارات و بديع و جناس وهي تحسب أن المعاني حاصلة في ذهن السامع، فتعالج نظم الكلام و تأليفه و تركيب الجمل.

تاريخ الأدب

هو علم يبحث عن أحوال لغة، نثرها و نظمها و أساليب الكتاب في العصور المختلفة منذ نشأة اللغة، و تتبع مراحل تطورها، والأسباب التي كانت وراء تغير الأساليب، و يبحث العلوم الأدبية والمعارف التي ساعدت على تكوين الأساليب وطرق الكتابة، والذوق الشعري، وهو سابق للنقد الأدبي العلمي الفني، و متأخر عن النقد العملي الذي يقوم على أساس الذوق والسليقة اللغوية.

ومن فوائده دراسة أسباب ارتقاء اللغة الدينية والإجتماعية والسياسية و على هذه الدراسة يقف ارتقاء أدب لغة، وهي توجهه و تجنبه من الإنحطاط والإنقطاع عن مصدره و معينه.

أدب اللغة العربية

اللغة العربية هي أغنى لغات العالم و أرقاها في النظم والنثر، وأدبها أدب حي، و مرآة صادقة لمن يتكلم بها، وهو صورة للحياة العربية في مختلف أدوارها و مراحلها، سواء في عصر ما قبل الإسلام أو ما بعد الإسلام و في عصور الإنحطاط، والنهضة، وهو يسير مع الحياة، وهو صلة وثيقة مرتبطة بها بحيث أن كل تحول اجتماعي و سياسي و انقلاب فكري أثر على

أساليب الأدب، ولذلك قسم الأدباء تاريخ الأدب العربي إلى العصور الآتية.

العصر الأول:

العصر الجاهلي: وهو عصر ما قبل الإسلام ينتهي بسطوع شمس الإسلام في عام ٦٢١ م و مدته حوالي مأة و خمسين سنة.

العصر الثاني:

العصر الإسلامي: و يشتمل عهد بني أمية، و يبدأ بظهور الإسلام و ينتهي بقيام الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ.

العصر الثالث:

العصر العباسي يبتدئ بسقوط دولة بني أمية و ينتهي بسقوط بغداد بأيدي التتار ٦٥٦هـ و يشمل حكم البويهيين والحمدانيين والأخشيديين والفاطميين والأيوبيين والأندلسيين.

العصر الرابع:

عصر المغول والأتراك: يشمل عهد المماليك والغزنويين والمغول والعثمانيين في مصر والشام و بلاد العجم.

العصر الخامس:

العصر الحديث: و يبتدئ من حكم الأسرة العلوية بمصر و يمتد إلى عصرنا هذا.

البابُ الثَاني

الأدب العربي في العصر الجاهلي[1]

---

[1] الجاهلية: إسم أطلقه القرآن الكريم على العصر الذي سبق الإسلام، والجاهلية في الواقع ضد الحلم، و ليست ضد العلم، فإن العرب كانوا على قسط كبير من العلوم والمعارف المعروفة في عصرهم و إن كانت الكتابة غير منتشرة لإعتمادهم على الذاكرة، أما أدبهم فكان أرقى الآداب و لا يزال هذا الأدب موضع تقدير واستحسان، ويستمتع به اليوم كما يستمتع بالآداب المعاصرة.

الفصل الأول

الحالة الإجتماعية والدينية والثقافية للعرب قبل الإسلام

ينقسم العرب الباقية إلى قسمين أحدهما ينتمي إلى قحطان وهم العرب العاربة، استقر أولادهم في اليمن جنوبي الجزيرة العربية، وآخرهما العرب المستعربة أو المتعربة و هم العدنانيون من أولاد اسماعيل عليه السلام و كان موطنهم نجد والحجاز في شمال الجزيرة العربية.

من أشهر قبائل القحطانيين جرهم و يعرب، ومن يعرب تشعبت القبائل إلى كهلان و حمير، ومن كهلان إلى الأزد و منهم الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة، و أولاد جفنة (الغساسنة) و طئ و مذحج وهمدان و كندة وأنمار وجذام و لخم (و منهم ملوك الحيرة).

ومن أشهر بطون حمير قضاعة ومن قضاعة بلى، و جهينة و كلب وبهراء ونهد وجرم و تنوخ و سليح ومهرة و عذرة.

ومن أشهر قبائل عدنان ربيعة ومضر، ومن ربيعة تشعبت قبائل أشهرها بكر وتغلب وهما قبيلتان جرت بينهما حرب البسوس.

أما مضر فتشعبت منها قبيلتان رئيسيتانَ خندف و قيس ومن خندف تشعبت تميم و خزيمة وهذيل، و الرباب، ومن خزيمة كنانة، و منها قريش و تشعبت من قيس باهلة، و عدوان وهوازن و سليم و غطفان، ومن هوازن ثقيف، وسعد و عامر، ومن غطفان، عبس و ذبيان القبيلتان اللتان جرت بينهما حرب داحس والغبراء المعروفة.

كان أهل الجنوب (القحطانيون) أي العرب العاربة [1] يعيشون عيشة قرار و قد أقامت عدة قبائل منهم حكومات قوية في اليمن و منهم التبابعة من حمير ومن اليمانيين قبائل كالغساسنة والمناذرة والكنديين الذين أقاموا حكومات في شمال الجزيرة العربية خارج اليمن.

أما أهل الشمال و هم العرب المستعربة [2] فغلبت عليهم البداوة، وعاشوا حياة الخشونة والشظف، يقيمون حيث طاب لهم المقام و توفر الماء والخضرة.

كانت لغة حمير غير لغة العدنانيين، ومن اللهجات اليمنية المعروفة المعينية السبئية، القتبانية الأوسانية الحضرمية، وهي قريبة من اللهجة الحبشية السامية.

---

[1] عرب عاربة وعرباء أو صرحاء وهم العرب الأصليون.

[2] المستعربة أو المتعربة لأنهم أخذوا العربية من العرب العاربة.

وكان لسان أهل الشمال كذلك يشمل لهجات كثيرة منها اللحيانية والثمودية والصفوية والنبطية.

سبق عرب الجنوب عرب الشمال في إنشاء حضارة خاصة بينما عاش عرب الشمال في الخيام و بيوت من مدر و وبر، توزعهم الخصومات ويتعرضون للغارات، و كانت حياتهم قاسية لا يملكون موارد إلاما يجلبونه بالنهب و السلب والغارة، كما قال شاعر عربي:

ومن ربط الجحاش فإن فينا قنا صلباً و أفراساً حسانا
وكن إذا أغرن على ضباب وأعوزهن نهب حيث كانا
أغرن من الضباب على حلول وضبة إنه من حان حانا
وأحيانا على بكر أخينا إذا ما لم نجد إلا أخانا

فلم يظهر عرب الشمال على المسرح العالمي كأمة متمدنة إلا بعد الإسلام.

هاجرت عدة قبائل يمنية بعد تصدع سد مأرب و استوطنت الشمال وبوادي الشمال، فاستقرت خزاعة في مكة، والأوس والخزرج في يثرب و طئ بين جبلى أجا و سلمى، والغسانيون [1] في مشارف الشام.

---

[1] آل غسان أقاموا في تهامة قبل نزولهم البلقاء و بصري في مشارف الشام بعد تصدع سد مأرب، وحكموا حوالي ٦٠٠ سنة، فلما نزلوا في مشارف الشام كان يحكمها حينئذ الضجاعمة من سليح فتغلبوا عليهم وانشأوا إمارة لهم وكانوا متحالفين مع الروم، فتنصروا، ومن ملوكهم الحارث ابن شمر، والمنذر وآخرهم جبلة بن الأيهم.

واللخميون في الحيرة والكنديون ١ في شمالي حضرموت، واشتد العداء عبر الزمن بين هذه القبائل، وأدى إلى حروب طاحنة استمرت سنين طويلة. ومن أشهر الأيام بين القبائل اليمنية النازحة إلى الشمال، يوم بعاث بين الأوس والخزرج، ويوم حليمة بين الغسانيين والمناذرة.

ومن أشهر الأيام التي جرت بين القبائل العدنانية، حرب داحس والغبراء التي دامت أكثر من أربعين سنة بين عبس و ذبيان، ابني غطفان في قيس من مضر، وحرب بسوس بين بكر وتغلب ابني وائل في ربيعة وهاتان الحربان تحملان مادة غزيرة في الأدب العربي، وخاصة الشعر العربي.

آل لخم التنوخيون، حكموا بالعراق، منهم جذيمة الأبرش أول من حكم بالعراق من العرب فلما قتلته الملكة الزباء ملكة تدمر صار ملك الحيرة إلى ابن أخته عمرو بن عدي ٢٦٨- ٢٨٨م بعد أن أخذ الثأر من الملكة، أشهر ملوكهم امرؤ القيس بن عمرو صاحب قصر الخورنق والمنذر وعمرو بن هند الذي قتله عمرو بن كلثوم التغلبي، فالنعمان بن منذر الذي وقعت بسببه معركة ذي قار، و آخر ملوكهم المنذر بن نعمان (٦٢٨- ٦٣٢م) وفي عهده فتح خالد بن الوليد الحيرة وكان ملوك الحيرة موالين للفرس.

أهل كندة نزلوا في البحرين والمشقر، فأجلوا عنها، فنزلوا في مكان قريب من حضرموت، وكانوا تحت سيادة حمير، وكانت إمارتهم اتحاداً للقبائل المختلفة، توزعت في آخر العهد إلى فروع، منها دومة الجندل والبحرين ونجران، وإلى ملوكها ينتمي امرؤالقيس بن حجر الكندي الشاعر المعروف، ذهبت هذه الإمارات بالإسلام.

كان أهل الشمال خاضعين لليمنيين يؤدون لهم إتاوة ثم انقطعوا عنهم بعد يوم خزازى الذي انتصر فيه عرب الشمال بقيادة كليب بن ربيعة من تغلب بن وائل من ربيعة والذي جمع العرب تحت لوائه، وإليه يشير عمرو بن كلثوم.

و نحن غداة أوقد في خزازي رفدنا فـوق رفد الرافدين

والواقع أن خروج عدنان من سلطة حمير لم يؤمن لها الاستقلال التام لأنها تخاصمت فيما بينها و كان تخاصمها يؤدي أحياناً إلى الاستعانة بأصحاب القوة من القحطانيين، فمنهم من كان يدخل في حماية كندة و منهم من يدخل في حماية غسان و لخم، و لاشتداد العداء هاجرت عدة قبائل من معد من تهامة و نجد والحجاز إلى سواد العراق واليمن.

كان عرب الشمال كلهم بدواً، إلا سكان مكة والمدينة والطائف وبعض المدن الأخرى كتيماء التي كانت إحدى محطات القوافل بين دمشق و صنعاء ولا سيما في رحلة الشتاء والصيف [1].

كانت الحروب والغارات سمة غالبة للحياة العربية، والشجاعة والحماسة شيمة من الشيم المميزة للعرب يتمجد بها الشعراء و يفاخرون بها، و يفخمون و قائعها.

و أيامنا مشهورة في عدونا لها غرر معلومة و حجول

---

[1] دراسة وتحليل للعهد العربي الأصيل: محمد جميل بيهم.

و يقول الشاعر الآخر:

تسيل على حد الظبات نفوسنا وليست على غير الظبات تسيل

وكانت هذه الحروب تستمر طول السنة سوى الأشهر الحرم وهي ذوالقعدة و ذوالحجة و محرم متتابعة لأداء المناسك و الرجوع منها، وشهر رجب في وسط الحول لزيارة البيت و الاعتمار، و كان لايشذ عن هذا التنظيم إلا حيان و هما خثعم وطئ فإنهما كانا يستحلان الشهور كلها.

و كانت بعض القبائل المنيعة تعتبر ثمانية أشهر حرما و يعرف ذلك بالبسل ١ .

و علاوة على القبائل المتماسكة التي كانت تخضع لسيد تطيعه القبيلة كلها في الحرب و السلم، كانت عصابات وأفراد يعيشون بما ينهبونه من المارة، وغيرهم من الناس، لا يخضعون لأي قبيلة فكانوا أحراراً في تصرفاتهم منهم تأبط شرا، والشنفري والسليك بن السلكة و عمرو بن براق، ونفيل بن براقة وهم صعاليك العرب وصفوا بطولتهم و مخاطرتهم في شعرهم وأخبارهم بأسلوب رائع يحمل مادة أدبية، كما كانت بعض القبائل معروفة بالتلصص، و نهب المسافرين كقبيلة غفار وأسلم.

وصف جعفر بن أبي طالب الحالة الإجتماعية العامة للعرب وهو يتحدث إلى النجاشي قائلاً:

لسان العرب مادة بسل.

"أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام و نأكل الميتة و نأتي الفواحش و نقطع الأرحام و نسيئ الجوار و يأكل القوي منا الضعيف" [1].

فالحرب في العهد الجاهلي كانت شرعة في الحياة، ومورداً من موارد الرزق فإن لم تكن تنشب عن عصبية أو حادثة كانت تنشب للرزق.

و لذلك كان العرب لا يسودون إلا من اجتمعت فيه خصال السيادة وهي الشجاعة والسخاء، وكرم النسب، قال شاعر: وهو لقيط بن عمرو:

يا قوم لا تأمنوا إن كنتم غيرا ... على نسائكم كسرى وما جمعا

فقلدوا أمركم ـ لله دركم ... رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا

لا مترفا إن رخى العيش ساعده ... ولا إذا حل مكروه به خشعا

لا يطعم النوم إلا حيث يبعثه ... هم يكاد حشاه يقطع الضلعا

مسهر النوم تعنيه أموركم ... يروم منها على الأعداء مطلعا [2]

المزايا القومية للعرب:

كانت الحروب والغارات على أوهي الأسباب السمة الغالبة للحياة الجاهلية، و كانت تؤدي إلى سلسلة لا تنتهي من الإنتقام و أخذ

---

[1] ابن هشام.

[2] الأغاني.

الثأر، وكان من أهم أسبابها النخوة الزائدة والإباء والتصلب في طبيعة العرب، إلا أنهم كانوا يتصفون بعدة خصال حميدة تكاد تصبح ميزة لهم، منها الجود والسخاء وحسن الجوار، وإيفاء الوعد، والقرى في أحرج الأوقات، في اشتداد الصيف، واشتداد البرد وهبوب الرياح العاتية و إغاثة المظلوم المستنجد، كما كان في العرب رجال متعففون، متزهدون، وحكماء يتوسطون في الصراعات، ويدعون إلى ممارسة العقل والحلم.

وكانت هذه المعاني الفروسية ونجدة المظلوم والإباء والسماحة والكرم والضيافة مادة غزيرة للأدب الجاهلي وخاصة الشعر الذي يعتبر ديوان العرب.

علـــوم العرب:

ومـن علـوم العـرب الـتي برعـوا فيهـا العرافـة [1] والقيافـة [2] والفراسة [3] والزجر والعيافة [4] ومعرفة النجوم [5] والأنساب والبيطرة.

---

[1] العراف مثل الكاهن، إلا أن الكهانة منصب ديني، والعرافة ليست بمنصب ديني وكان العراف يكشف المخبأ في الماضي وكان أيضاً طبيباً.

[2] تتعلق بمعرفة اتجاه السائرين، والهاربين من تتبع آثارهم، والقافة جمع قائف، كانوا يميزون بين آثار القدم من بعض، ولو تزاحمت، وكانوا يعرفون الأشخاص بآثار أقدامهم، ومنهم من كان يعرف آثار الحيوان أيضاً.

[3] الفراسة دراسة الأمور الظاهرة للإنسان والإستدلال بها على أخلاقه أو على نسبه إذا شك شاك في قرابته إلى أسرته وقبيلته.

كانت الحياة عند العرب عابرة والموت شرفاً ومكرمة، فكانوا يعتبرون الموت غبطة و شرفاً لهم و يفتخرون به.

إنا لمن معشر أفنى أوائلهم قيل الكماة ألا أين المحامونا

ويقول الشاعر:

يقرب حب الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطول

وعلى الجانب الآخر كان لهذه العقيدة عن الحياة دور في الإستزادة من الإستمتاع بالحياة و ملذاتها، والقيام بأعمال تذكر بعد الموت وتخلد ذكراه، فالعربي بعيد عن التكلف، ميال إلى الفطرة سطحي الفكر يؤمن بما يشاهد ويصف ما تراه عينه، غير متفلسف في الحياة صادق النفس أبيها، و لبعده عن عهد الديانات تسربت فيه الوثنية، والخرافية، وداء العصبية، والإستخفاف بالقيم الإنسانية، فصرف طاقاته إلى أمور واهية من الحياة وكان الفقر الفاشي، والأمية، والشظف في الحياة والحروب الطاحنة قد جعلهم أمة متداعية خلقياً واجتماعياً، فجاء الإسلام و ألف بين القلوب، و جعل القبائل المتناحرة أمة واحدة، قادت الإنسانية تحت لواء الإسلام، وحملت رسالة الأخلاق، والوحدة، والرحمة للإنسانية جمعاء.

---

٤ الزجر أو العيافة هو التنبؤ بالمستقبل من ملاحظة حركات الحيوان أو الطيور، أو بذبح الحيوانات، ودراسة العلامات التي توجد في أكبادها و رئاتها وأمعائها.

٥ كان العرب يعرفون مواقع الكواكب والنجوم و تنقل الكواكب في بروجها بين فصل و فصل للإستدلال على المواضع أو الطرق لأن بلادهم كانت قليلة المعالم.

الحياة الدينية:

كان العرب قبل الإسلام موزعين من الناحية الدينية، ولكن دهماء العرب كانوا يدينون بالدين الوثنى فكانت لقريش أصنام في جوف الكعبة و حولها، و كانت كل قبيلة تختلف في الأصنام، ولعل هذا الإختلاف حمل الشعراء على عدم ذكرها في الشعر خوفاً من أن يكون شعرهم محدوداً في تلك القبيلة.

و بجانب الوثنية كانت الصابئة و كان يعبد أتباعها النجوم والكواكب و انتشرت في بلاد اليمن و حران و أعالي الفرات.

و انتشرت اليهودية في وادي القرى، و خيبر و تيماء و يثرب حيث أقامت قبائل بني قريظة، و بني النضير و بني قينقاع.

و انتشرت المسيحية في قبائل تغلب و غسان و قضاعة و في بلاد اليمن،و كانت أهم مواطن النصرانية في بلاد العرب نجران، و كانت النصرانية موزعة بين النسطورية و اليعقوبية ولكن لم يكن لهم دور كبير في النشاط الأدبي، وما ادعاه شيخو في شعراء النصرانية لا يستند إلى الحق لأن النصرانية لم يكن ديناً سائداً في الجزيرة، كانت في العرب طبقة ارتفعت عن الوثنية لاختلاطها باليهودية و النصرانية ولكنها لم تكن يهودية ولا نصرانية، فكان فيها رجال دعوا إلى التعفف و نبذ عبادة الأوثان والتخلص من عبادات الجاهلية، منهم أمية بن أبي الصلت.

الفصل الثاني

النثر في العهد الجاهلي و أعلامه

كان العرب قبل الإسلام أمة أمية غالباً، لم تنتشر فيهم الكتابة فكان أكثر إعتمادهم على الذاكرة و حيث إن الشعر أقرب إلى الحفظ، لذلك أكثر ما انتقل إلينا هو الشعر، و لم تنتقل إلينا نماذج كثيرة للنثر الجاهلي.

و كل ما يحفظه لنا التاريخ من النثر الجاهلي لا يتعدى الأمثال والحكم و خطباً قصيرة و بعض الوصايا و سجع الكهان.

المثل:

جملة مقطعة في غاية من الإيجاز تنقل عما وردت فيه إلى ما يشابهه بدون التغيير وهو متصل بواقع أو حادث.

الحكمة:

قول رائع يتضمن حكماً صحيحاً مسلماً، و هو ثمرة الحنكة و نتيجة التجربة، ولا تجري الحكمة إلا بين الخواص، أما المثل فهو كلام شائع بين العامة و الخاصة.

نماذج من الأمثال:

إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً.

أوسعتهم سباً و أودوا بالإبل.

قبل الرمى يراش السهم.

أحشفاً و سوء كيلة.

تسمع بالمعيدي خير من أن تراه.

أنت تئق و أنا مئق فكيف نتفق.

لا تجنى من الشوك العنب.

يداك أوكتا و فوك نفخ.

إن البغاث بأرضنا يستنسر.

سكت ألفاً ونطق خلفاً

ضرب أخماساً لأسداس.

مواعيد عرقوب [1].

عند جهينة الخبر اليقين.

نماذج الحكم:

ـ من سلك الجدد أمن العثار، عي صامت خير من عي ناطق.

ـ يدك منك و إن كانت شلاء ـ من ضاق صدره اتسع لسانه.

---

[1] عرقوب رجل من العماليق، كان يعد ولا يفي.

ـ كلم اللسان أنكى من كلم السنان، رب عجلة تهب ريثاً، رب قول أنفذ من صول ـ من مأمنه يؤتى الحذر، مصارع الرجال تحت بروق الطمع، أنجز حر ما وعد.

الخطابة:

كان لكل قبيلة خطيب كما كان لكل قبيلة شاعر، و قد كانت الخطابة عادة للتحريض على القتال و التحكيم في الخصومات و إصلاح ذات البين.

أشهر خطباء العرب كعب بن لؤي، ذو الأصبح العدواني، قيس ابن خارجة بن سنان و قس بن ساعدة الأيادي، و أكثم بن صيفي، و عامر بن الطفيل و عمرو بن معديكرب و الحارث بن ظالم المري و عمرو بن الشريد السلمى وحاجب بن زرارة التميمي.

قال أبو العباس من كلام العرب الإختصار المفهم، و الإطناب المفحم، و قد يقع الإيماء إلى الشئ فيغني عند ذوي الألباب عن كشفه، و الإيماء عند العرب في كلامهم كثير[1].

كان العرب يستحسنون من الخطيب أن يكون رابط الجأش قليل اللحظ جهير الصوت، قوي الحجة نظيف البزة كريم الأصل عاملاً بما يقول، وكان من عادة الخطباء الإعتماد على مخصرة أو عصا أو قناة، أو قوس، و كان التشاغل بفتل الإصبع، ومس اللحية وغير ذلك من البدن.

---

[1] الكامل للمبرد.

والتنحنح أو طلب الماء يعتبر نوعا من العي عند العرب، و قد عاب أحد الشعراء بعض الخطباء.

مليئ ببهر و التفات و سعلة و مسحة عثنون و فتل الأصابع

و عاب شاعر خطيباً أصابه رعب فأطال الكلام:

نحنح زيد و سعل؟ لما رأي و قع الأسل

و يلمه إذا ارتجل ثم أطال و احتفل

نماذج الخطابة:

قال هارون بن قبيصة الشيباني في يوم ذي قار وهو يحرضهم على القتال:

"يا معشر بكر هالك معذور، خير من ناج فرور إن الحذر لا ينجي من القدر، و أن الصبر من أسباب الظفر، المنية لا الدنيئة، استقبال الموت خير من استدباره، الطعن في ثغر النحور، أكرم منه في الأعجاز و الظهور، يا آل بكر قاتلوا فما للمنايا من بد.

أرسل النعمان ملك الحيرة إلى كسرى وفداً عربياً يتكون من أربعة فصحاء العرب و بلغائهم بعد ما سمع منه كلاماً فيه تهجين العرب، وتنقيصهم. و أمرهم بأن يتكلمو أمام كسرى في مدح العرب، و ذكر مناقبهم بحيث لا يبغضه و أمر أن يكون المتكلم الأول أكثم بن صيفي أمام كسرى فقال:

"إن أفضل الأشياء أعاليها، و أعلى الرجال ملوكها و أفضل

الملوك أعمها نفعاً، وخير الأزمنة أخصبها و أفضل الخطباء أصدقها، الصدق منجاة والكذب مهواة، والشر لجاجة، آفة الرأي الهوى، والعجز مفتاح الفقر، وخير الأمور الصبر، إصلاح فساد الرعية خير من إصلاح فساد الراعي، من فسدت بطانته كان كالغاص بالماء".

قال كسرى: لو لم يكن للعرب غيرك لكفي، قال أكثم: "رب قول أنفذ من صول".

ثم قام حاجب بن زرارة التميمي فقال ورى زندك، وعلت يدك و هيب سلطانك، إن العرب أمة قد غلظت أكبادها، و استحصدت مرتها[1] ومنعت درتها و هي لك وامقة ما تألفتها، مسترسلة ما لاينتها، سامعة ما سامحتها، وهي العلقم، والصاب غضاضة، والعسل حلاوة و الماء الزلال سلاسة.

و قام عمرو بن معد يكرب الزبيدي فقال: إنما المرء بأصغريه، قلبه و لسانه، فبلاغ المنطق الصواب، وملاك النجعة الإرتياد[2] و عفو الرأى خير من استكراه الفكرة، و توقيف الخبر خير من اعتساف الحيرة، فاجتبذ طاعتنا بلفظك و اكتظم بادرتنا بحلمك، و ألن لنا كنفك ليسلس لك قيادنا[3].

زار عبد المطلب سيف بن ذي يزن بعد ما ظفر بالحبشة في وفد

---

[1] المرة: الطاقة، الحبل.

[2] النجعة طلب الكلأ.

[3] العقد الفريد ج /٢ ص ٤.

العرب لتهنئته فاستأذنه في الكلام فقال:

"إن الله تعالى أيها الملك أحلك محلاً رفيعاً صعباً منيعاً، باذخاً شامخاً، و أنبتك منبتاً طابت أرومته و عزت جرثومته، و نبل أصله وبسق فرعه في أكرم معدن، و أطيب موطن، فأنت- أبيت اللعن - رأس العرب وربيعها الذي به تخصب و ملكها الذي له تنقاد، وعمودها الذي عليه العماد، ومعقلها الذي إليه يلجأ العباد، سلفك خير سلف، و أنت لنا بعدهم خير خلف، لن يهلك من أنت خلفه، ولن يخمل من أنت سلفه، نحن أيها الملك حرم الله وذمته وسدنة بيته، أشخصنا إليك الذي أبهجك بكشفك الكرب الذي فدحنا، فنحن وفد التهنئة لا وفد المرزئة" .

الوصايا:

احتضر ذو الأصبح العدواني فدعا ابنه أسيدًا ليوصيه، فقال: "يا بني إن أباك قد فنى، وهو حي، و عاش حتى سئم العيش و إني موصيك بما إن حفظته بلغت في قومك مبلغته، فاحفظ عني، ألن جانبك لقومك يحبوك وتواضع لهم يرفعوك و ابسط لهم وجهك يطيعوك ولا تستأثر عليهم بشئ يسودوك.

ومن نماذج النثر الجاهلي سجع الكهان وهو كلام يحتمل عدة معان، والسجع مأخوذ من سجع الحمام وهو الكلام المقفي أو موالاة الكلام على روى، والنطق بكلام له فواصل.

ارتج إيوان كسرى ليلة ولد النبي ﷺ و غاضت بحيرة ساوة تلك

الليلة، و رأي الموبذان رويا هالته، فأرسل كسرى عبد المسيح بن نفيلة الغساني إلى سطيح أحد الكهنة المعروفين لتأويل الرؤيا، فقاله له سطيح:

" عبد المسيح على جمل مشيح، إلى سطيح، وقد أوفي على الضريح، بعثك ملك بن ساسان لارتجاج الإيوان و خمود النيران، و رؤيا الموبذان، رأي إبلاً صعاباً، تقود خيلاً عرابا، قد اقتحمت في الواد، وانتشرت في البلاد، يا عبد المسيح، إذا ظهرت التلاوة، و فاض وادي السماوة، و غاضت بحيرة ساوة، وظهر صاحب الهراوة، فليست الشام لسطيح شاماً يملك منهم ملوك و ملكات، عدد سقوط الشرفات، و كل ما هو آت آت".

الفصل الثالث

الشعر

الشعر أقوي قسم من أقسام الأدب الجاهلي وهو ديوان العرب، و يحمل أغزر مادة أدبية للعرب قبل الإسلام.

وهو الكلام الموزون المقفي قصداً و الذي يعبر عن صور الخيال البديع و يثير الوجدان و الشعور، و يرغب و يرهب، على عكس النثر الذي يقنع الفكر بالحجة و البرهان، و الأدلة العقلية، و هو أسرع تأثيراً من النثر في إثارة العواطف، و تشخيص المعاني الذهنية، و أقل مؤنة على الذهن من الكلام المنثور، لأنه يشتمل على نغم الوزن و القافية التي تشبه الإيقاع و التلحين الذي يطرب له الحيوان بله الإنسان.

و الشعر أسبق من النثر الفني، لأن النثر الفني يتطلب تطوراً عقلياً و ذوقاً علمياً، و نمو الكتابة، و انتشار العلم و نضج الفكر، و الشعر ينبع من الوجدان، و يصور الخيال و أحوال النفس، والمحسوس الباهر

الذي يدركه سائر أفراد المجتمع، فلا يحتاج إلى نشأة العلم و الكتابة[1].

و قد أطلقوا على النثر المتضمن للخيال الرائع كلمة الشعر المنثور لمشاركة الخيال، كما أطلق العرب على القرآن كلمة الشعر مسحورين بروعة البيان فيه و تأثيره الوجداني.

كان التغني بالشعر شيئاً متلازماً لدى العرب القدماء، و لذلك يقول العرب أنشد الشعر، و النشيد في اللغة رفع الصوت.

قال ابن رشيق في كتاب العمدة:

"كان الكلام كله منثوراً، فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها وطيب أعرافها و ذكر أيامها الصالحة و أوطانها النازحة و فرسانها الأمجاد وسمحائها الأجواد لتهتز به نفوسها إلى الكرم، و تدل أبناءها على حسن الشيم فتوهموا أعاريض، فعملوها للكلام، فلما تم له وزنه سموه شعراً لأنهم شعروا به، أي فطنوا له".

و الغالب أنهم بدأوا أولاً بالسجع بلا وزن، كقولهم "إذا طلع السرطان، استوي الزمان، و حضرت الأوطان، و تهادت الجيران" و هو

---

[1] يقول العلامة شبلي النعماني في شعر العجم: "الشعر هو التعبير بألفاظ عن الإحساس و الإنفعال و الشعور، وهو كلام يثير العواطف و يهيجها، و يقول أحد الكتاب الغربيين: إن كل كلام يعجب به القلب أو يجيش له، و يتأثر به هو الشعر، ولا خلاف في أن أهم عنصر من عناصر الشعر هو إثارة العواطف في القلب، والفرق بين الشاعر و الخطيب هو أن الشاعر يصور ما يجيش في صدره و يقتنع به، أما الخطيب فهو يراعي في كلامه طبيعة الجمهور و يتأثر بانفعاله، (شعر العجم).

سجع بقافية بلا وزن، وكان هذا النوع في الكلام يقتصر على الكهان، وتقييد بعض العلوم التي كانوا يريدون حفظها، ثم دخل الوزن، وكان استعماله خاصاً لحداء الإبل، والأمور الطارئة مثل السرور والألم، وكان ذلك رجزاً، ومن أمثلة الرجز:

أبكيت على طلل طربا فشجاك وأحزنك الطلل

أو كما يقول الراجز:

قلبي به في شغل لامل ذلك الشغلا

قيده الحب كما قيد راع جملا

ولما تمت ملكة الشعر وتنوعت الأغراض قصدت القصائد، وكان أول من قصدها المهلهل بن ربيعة بعد قتل كليب، وقبل ذلك كان الشعر مقطعات، وكان تعليقاً على حادث أو أمر طارئ، وتدل دراسة أوزان الشعر العربي على شبه كبير بينها وبين توقيع الإبل والفرس.

أنواع الشعر:

العرب يقسمون الشعر إلى الفخر والحماسة والمدح والعتاب والغزل والوصف والحكم وغيرها من الأغراض، وهذه كلها من أنواع الشعر الغنائي، لأنها تؤثر على النفس تأثير الغناء أو الموسيقي، ويقسم الشعر عند الأفرنج إلى ثلاثة أقسام:

الشعر القصصي، والشعر الغنائي، والشعر التمثيلي، إلا أن الشعر الغنائي هو أسبق الأنواع الشعرية، لأنه شعر طبيعي ووجداني.

و أقدم أغراض الشعر عند الأمم، هو الغرض الديني كالابتهالات و المناجاة و قصص الآلهة، كما كان عند اليونانيين و الهنود واليهود، أما العرب فلم يكن لحياتهم الدينية تأثير كبير في الشعر، لأنه لم تكن لهم فكرة دينية واضحة، فكانت لكل قبيلة أصنام و لها طقوس، و كانت الخصومات شديدة بين القبائل، وكانت تشغلهم الحروب الدامية فكانت أهم موضوع لشعرهم، وهو الذي يصور حياتهم الاجتماعية، و لم يكن في الشعر الديني إلا بعض الأبيات التي تشير إلى بعض الآلهة وطقوسهم الدينية، ولا يصح أن يقال إن الرواة من المسلمين أغفلوا الشعر الديني للعرب، لأنه كان وثنياً، و الإسلام يمحو ما كان قبله، فقد بقي شعر أمية بن أبي الصلت و القصائد التي قالها الشعراء من أعداء الإسلام في هجاء النبي ﷺ و الأنصار والمهاجرين و في الإستخفاف بتعاليم الإسلام، و في رثاء قتلي الغزوات التي عبروا فيها عن تشنيعهم للإسلام والمسلمين، و هجائهم لهم وهو كثير و محفوظ في كتب السير و التراجم، كان أكثر الموضوعات الشعرية عند العرب هو الحماسة، و الفخر و الهجاء، والمدح، ولذلك ما ل عدد من الباحثين للشعر العربي في العصر الأول إلى القول بأن الشعر مجاله الشر، و إذا تناول الموضوعات الأخلاقية و الدينية ضعف وتهافت و كان منهم الأصمعي، و سلك هذا المسلك بعض النقاد في العصر الحديث من الإباحيين، فأخرجوا ما كان وعظاً أو كان فيه عنصر الصدق غالباً من الشعر، والواقع أن الشعر

الوجداني مؤثر في ذاته، فإن كان سيئاً كان تأثيره سيئاً، وإن كان خيراً، كان تأثيره خيراً.

مكانة الشعر عند العرب:

كان العرب بفطرتهم مطبوعين على نظم الكلام، و هم أقدر الأمم على الشعر الوجداني لأنهم أشد الأمم حساسية، و عاطفة، و إدراكاً لمواضع القوة والجمال، و أملكهم تعبيراً عن مشاعرهم الفياضة، و أكثرهم انفعالاً، كما يتميز العرب بالصراحة والجراءة في التعبير عما يجيش بصدورهم، و قد كانت الروح الفنية غالية فيهم، فكانوا يقدرون الكلام الجيد المثير الذي يتميز بالتعبير الجميل، ويحمل الخيال الرائع ويحفظونه ويروونه، وإن كان من كلام الأعداء، وكانوا صادقين أمناء في نقل الكلام، و كان ذلك لشغفهم بالشعر، و قد قيل عن الأعشى أنه ما مدح أحداً إلا رفعه، و ما ذم أحداً إلا وضعه، و مما يدل على تأثير الشعر في الذهن العربي ما رواه ابن إسحاق في السيرة عن الأعشى واجتهاد قريش لصرفه عن النبي ﷺ و مدحه خوفاً من تأثير شعره.

وقد قال أبو سفيان: "والله لئن أتى محمداً ﷺ أو اتبعه ليضرمن عليكم نيران الحرب بشعره".

و كان العرب إذا نبغ فيهم شاعر أتت القبائل فهنأتها بذلك وصنعت الأطعمة، و اجتمعت النساء يلعبن بالمزامير كما يصنعن في الأعراس، لأنه حماية لأعراضهم و ذب عن أحسابهم و تخليد لمآثرهم

وإشادة لذكرهم، فكانوا لا يهنئون إلا بغلام ولد أو شاعر ينبغ أو فرس تنتج [1].

وقد ضاع الشعر ولم يحفظ إلا بعضه، وما انتهى إلينا مما قالت العرب إلا أقله.

الشاعر الأول:

ادعت كل قبيلة لشاعرها أنه هو الشاعر الأول: فادعت اليمانية لامرئ القيس، و بنو أسد لعبيد بن الأبرص، و تغلب للمهلهل بن ربيعة، و بكر لعمرو بن قميئة والمرقش الأكبر، و إياد لأبي دؤاد، و قال بعضهم إن الأفوه الأودي أقدم من هؤلآء، و أنه أول من قصد القصيدة، وقال عمرو ابن شبة في طبقات الشعراء: هؤلآء النفر المدعي لهم التقدم في الشعر متقاربون، لعل أقدمهم لا يسبق الهجرة بمائة و خمسين سنة تقريباً، وهو عهد غلبة قريش السياسية و الاجتماعية، ولم يصل إلينا ما قيل قبل مائتي سنة من الإسلام و ما وصل إلينا هو شعر ناضج منقح.

مميزات الشعر الجاهلي:

إن أهم عنصر من عناصر الشعر هو العاطفة و الخيال و التعبير الوجداني، وقد فاق العرب و تميزوا بهذه العناصر، وهو يكاد يكون طبيعتهم وجبلتهم، وقد ساعدت على ذلك طبيعة الحياة و الجو و البيئة،

---

[1] العمدة.

فقد غلبت على العرب روح الفردية، و حرية الفكر و بساطة الحياة و عدم الإرتباط بملابساتها أو الحرص على إطالتها، فيخلو الشعر الجاهلي من التكلف في الأداء و التفكير العميق، و زخرف القول، فجاء شعراً صادقاً في الوصف، مليئاً بالعواطف،و دقيقاً في تصوير الطبيعة، و قد يكون واهن المعني، مفكك التنسيق، غير مرتبط، و بدون نقطة مركزية، فإذا حذف شئ أو قدم أو أخر لا يحدث خلل، ويبدو لقلة المعاني و عدم الاستقصاء الشعر العربي مكرراً، و متشابهاً بعضه من بعض، كما قال زهير:

ما أرانا نقول إلا معاراً أو معاداً من القول مكروراً

و من أسباب التشابه في اللغة و الفكر في الشعر الجاهلي أن الآثار التي وصلت إلينا لا ترجع إلى ما وراء القرن السادس للميلاد، و تدل نظرة على عهود شعراء الطبقة الأولى على أن أحدهم لا يتجاوز عهده ٥٠٠ سنة للميلاد.

المهلهل بن ربيعة التغلبي(الشاعر الأول)	٥٠٠م
الشنفري	٥١٠م
بشر بن أبي خازم الأسدي	٥٣٠م
تأبط شراً	٥٣٠م
امرؤ القيس الكندي	٥٣٩م

و كذلك الأعشى و زهير، والنابغة الذبياني، و حسان بن ثابت الأنصاري، و لبيد، والخنساء، و دريد بن الصمة،و عمرو بن معد يكرب

وحاتم الطائي، كانوا متقاربي العهد.

فلا غرابة إذن أن هذه الآثار التي ألفت في عهد تمت فيه للغة قريش الغلبة على ما عداها من اللغات، و أصبحت اللغة الفذة التي يصطنعها العرب في ميادين الآداب، منسجمة مع لغة قريش و متأثرة نوعاً من الثقافة و المثل في قريش سدنة الكعبة، قال زهير:

أقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش و جرهم

و لقد سبق أن ذكرنا أن الشعراء كانوا يجتمعون في الموسم وينشدون أشعارهم، فكانوا يبقون ما تقبله قريش و يتركون ما ترفضه قريش، و هذا يتطابق كلياً مع نواميس اللغات الإنسانية، و لو جاء شئ معارضاً مع ذلك لكان غريباً.

و كذلك ما ألفه شعراء اليمن و أدباؤهم في المراحل الأخيرة للعصر الجاهلي فهو أيضاً مؤلف باللسان العربي المبين، فينطبق عليهم ما ذكرناه عن الشعراء و الأدباء في الحجاز ونجد، فقد كانت اللغات القديمة الأخري في ذلك العهد الذي وصل إلينا أدبها قد انقرضت وأصبحت غريبة، و تغلبت اللغة العربية الفصحى على سائر اللغات الأخرى من اللغات القديمة، و فوق ذلك كان كثير من الشعراء الذين كانوا ينحدرون من أصل يمنى قد استقروا في الشمال، و اصطبغوا بالصبغة الشمالية، و قبلوا قيم الشمال و آداب سكان الشمال، و يدل على هذا التقليد للأدب الشمالي ما كان يتمتع به النابغة الذبياني من

مكانة لدى ملوك الحيرة، والخضوع لقيم الشمال في كلام الشعراء الطائيين وشعراء الأوس والخزرج، وفي مقدمتهم حسان بن ثابت الأنصاري رغم عصبيتهم للقحطانيين.

أسباب الشك في الشعر الجاهلي:

وقد أثار بعض المحدثين [1] من الباحثين في كتاباتهم، على غرار الكتاب المستشرقين، الشكوك في صدق الشعر الجاهلي على أساس التشابه بين شعر شعراء اليمن وشعر شعراء الحجاز ونجد، وقد خفي عليهم أوتجاهلوا لغرض في نفوسهم أن اللهجات الإقليمية كانت للتخاطب، وأن لغة المحادثة لا تستخدم في التعبير الأدبي، وأن لغة الأدب لا تسير مع اللهجات المحلية التي تتطور وتتغير سريعاً، وتكون محدودة الثغور، وتكون مفهومة في منطقة محدودة كما هو الحال في العالم العربي اليوم حيث تختلف اللهجات، ولكن لغة الإذاعة والصحافة، والشعر، والعلم، عربية فصحى عالمية، يستخدمها الأدباء في الهند كما يستخدمها الأدباء في أي بلد عربي.

على أننا لا نقرر أن كل ما وصل إلينا من الآثار الجاهلية منزه عن نقص وضع أو تحريف، فهناك عوامل تدل على عملية وضع من الرواة، وإنه قد تأثر بألسنة الرواة، وحذف منه كثير مما كان لا يلائم الذوق المتغير أو المصلحة السياسية والاجتماعية، ولكنه قليل، قد أبان

---

[1] منهم الدكتور طه حسين.

المحققون هذه المواضع، ولا تقل هذه النصوص أهمية من الناحية الأدبية لأن القسم المصنوع منها مهما كان نوعه، كان - إذا صح ذلك التعبير - من صنع رجال كانوا قريبي العهد بالعصر الجاهلي، وكانوا على إلمام كبير باللغة العربية وآدابها، فلم يدخروا وسعاً في محاكاة الجاهليين، وكانوا قادرين عليه، وما صدر من ألسنتهم يمثل تمثيلاً صادقاً في روحه وعبارته وأسلوبه للغة الأدب الجاهلي.

ولا يستبعد أن يكون بعض ضعاف الرواة أو الواضعين للشعر لأغراض متعددة مندسين بين الرواة، ولكن رواية الشعر الجاهلي الذي كان عليه الاعتماد في شرح اللغة ووضع القواعد، مرت بمرحلة طويلة من الجرح والتعديل والبحث عن الرواة، بأيدي رجال كانوا كالصيارفة يميزون بين الزائف والصحيح، كابن العلاء الحضرمي، والمفضل الضبي، وعلماء ثقات متورعين، وقد نقلت كتب التاريخ عن تورع الخليل بن أحمد وخلف الأحمر، والأصمعي وحذرهم في النقل والرواية وقوة ذاكرتهم، وما تحملوا من شدائد ومكاره في جمع الشعر واللغة، ومكابدتهم وتكريسهم ما لا يتصوره الذهن في هذا العصر، وقد كشف عن بعض المزالق، أو محاولات الدس التي وقعت، علماء الشعر في عصر التدوين الأول كابن السلام الجمحي، وآراؤهم معروفة، ولكن نقدهم يدور حول بعض الأشعار ونسبتها، ولم يكن الشعر الجاهلي بمجموعه موضع الشك لديهم.

أصبح الشك في الشعر الجاهلي مذهباً، كان من رواده الدكتور طه حسين، الذي شك في الشعر الجاهلي بناء على منهجه العلمي المأخوذ من مذهب ديكارت للشك، و اتجاهه الطبيعي إلى الطعن في التراث والسلف و مآخذ الفكر العربي، ثم استفاد من رسالة مرغليوث في الشعر الجاهلي [1]، وتصدى لهذا المذهب كبار علماء العربية، و ظهرت مؤلفات قيمة في الرد على هذا الفكر الذي كان يقصد به هدم اللغة العربية الفصحى و فتح باب للرأي في القرآن الكريم والحديث الشريف، و في مقدمتهم الشيخ محمد خضر حسين والدكتور على جمعة ، و مما يدل على أن هذه الحركة كانت مقصودة أن حركة أخرى رافقت هذه الحركة وهي حركة استبدال الفصحى بالعامية، و كان من روادها سلامة موسى و الحصري، و نفخ روح هذه الحركة بعض رجال السياسة البريطانيين الذين لم يخفوا نواياهم ليجعلوا العربية الفصحى لغة مهجورة.

و يكفي أن نورد هنا ما كتبه العلامة السيد سليمان الندوي عن مرغليوث الذي فتن به الكتاب العرب المعاصرون.

"كان مرغليوث يهودياً ثم اعتنق المسيحية، و يكفي ذلك دليلاً على أن عداءه للإسلام و ذات الرسول ﷺ كان مضاعفاً، فصرف حياته

---

[1] راجع للتفصيل مصادر الشعر الجاهلي للدكتور ناصر الدين الأسد ورسالة في أصول الشعر الجاهلي لمرغليوث، تعريب و تحقيق الدكتور يحيى الجبوري.

كلها في الإغارة على تراث الإسلام علمياً و ثقافياً، و لذلك لم يكن ينظر إليه و حتى في الدوائر الجدية في أوربا باحترام، و أهم كتبه سيرة محمد ﷺ و هذا هو الكتاب الذي أثار حفيظة العلامة شبلي النعماني، فوضع خطة لعرض السيرة النبوية، التي كانت بحمد الله نواة للكتابة في السيرة في هذه البلاد" ١.

و أكبر ديوان للشعر العربي هو جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي وهو يشتمل على تسع و أربعين قصيدة، و يعتبر أصح الشعر العربي القديم رواية و أصدقه تمثيلاً لأسلوبه و منهاجه، و أبعد هذه القصائد مدى من الرواية، وأوفرها حظاً من العناية و الحفظ، المذهبات، وهي المعلقات أو السموط كما يسميها الأدباء.

طبقات الشعراء:

للناس في تفضيل الشعراء مذاهب شتى، وهي حسب أذواقهم وانتمائهم للقبيلة و اعتبارهم للأقدمية، فتختلف الآراء في أسبق الشعراء، إلا أن أكثر العلماء يتفقون على أن المهلهل بن ربيعة أسبق إلى تطويل الشعر، وذكر الوقائع، و أن امرأ القيس أسبق إلى ذكر أشياء استحسنها الشعراء واتبعوه فيها، وهو أول من لطف المعاني، و استوقف على الطلول، و وصف النساء بالظباء و المها، والبيض، و وصف الخيل، وفرق بين النسيب و ما سواه من القصيدة.

---

١ ياد رفتكان.

ومن المقدمين من الشعراء امرؤ القيس و زهير بن أبي سلمى، والنابغة الذبياني، و الأعشى.

تحليل الشعر الجاهلي:

تدل دراسة القصائد الطويلة التي تعتبر أجود شعر الجاهلية على شبه إجماع بين الشعراء على استهلالها بالنسيب و الحنين إلى الحبيبة النائية الذى يعتريه عند رؤية أطلالها الداثرة، وهو راكب في القفار، بإستثناء بعض الشعراء الذين بكوا على الشباب الزائل، أو شكوا الأقارب و الأصدقاء و هم قلائل، ثم يتحول الشاعر من موطن حبيبته السابق و وصف رسوم ديارها و أيامه السعيدة التي قضاها فيها، إلى وصف مسيره في المفاوز، و يذكر أسماء المواضع، و موقعها و طبيعة الحياة فيها، ثم ينتقل ذهنه إلى راحلته التي يقطع بها المفاوزأو يمضي بها همه، و يشبهها ببعض الحيوانات الوحشية، ثم يتطرق إلى بعض تجاربه في الحياة، و يذكر طبائع الناس، و سلوكه معهم وتحمله الصعاب، وسماحته في الحياة. و يتجه الشاعر في آخر القصيدة إلى التعبير عن حقيقة قصده، و يعرب عن أفكاره و تصوره عن الحياة، و تدور القصائد من الشعر الجاهلي بصفة عامة حول وصف الرجولة، و المروءة والإباء والنجدة في مواجهة الحياة.

المعلقات:

يتفق العلماء على أن أجود نماذج الشعر الجاهلي هي المعلقات أو ما يسمى بالقصائد المختارة أو السموط، و ينتمى شعراؤها إلى قبائل مختلفة، وهي صورة شعرية عن الحياة الإجتماعية و الثقافية لذلك العصر، و تسجل بعض الوقائع الفردية و القبلية.

كان من عادة العرب أنهم إذا استجادوا شيئاً أو اهتموا بأمر كتبوه وعلقوه بأستار الكعبة، فيرى بعض رواة الشعر أن هذه القصائد الطوال علقت بأستار الكعبة لجودتها، و تختلف آراء المؤرخين في التعليق، كما يشكون في الرواية لأن حماد الراوية، الذي نقل هذه المجموعة الشعرية، كان موضع شك لدى بعض المؤرخين، فأثيرت شكوك في صحة نسبة بعض الأشعار التي رواها حماد، و تختلف الأقوال في عدد القصائد المعلقة، و شعرائها أيضاً.

أما القول المعروف و المرجح فهو التعليق بالكعبة، لأنه كان من عادة العرب أن يعلقوا بالكعبة كل ما كانوا يريدون بقاءه و الإحتفاظ به ، و كانت تكتب القصائد الجيدة وتعلق في خزائن الملوك، وتحفظ أيضاً، ولا يوجد تعارض بين القولين.

قال أبو زيد القرشي في جمهرة شعر العرب "القول عندنا ما قاله أبو عبيدة، امرؤ القيس و زهير و النابغة و الأعشى و لبيد وعمرو بن كلثوم وطرفة، وإليه يذهب المفضل الضبي فقال هولاء أصحاب السبع

الطوال التي تسميها العرب السموط، ومن قال إن السبع لغيرهم فقد خالف ما أجمع عليه أهل العلم و المعرفة.

و ذكر أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني شارح المعلقات السبع، الترتيب الآتي: امرؤ القيس، طرفة، زهير، لبيد، عمرو بن كلثوم، عنترة، الحارث ابن حلزة،

و أضاف بعض رواة الشعر قصيدة عبيد بن الأبرص، فصار عدد القصائد التي اعتبرها الرواة المعلقات عشر قصائد، و شرح التبريزي هذه القصائد العشر بكاملها.

كانت البادية بيئة الشعر الجاهلي، فتناول الشعر قضايا حياة البادية، و تصور رجال البادية عن الحياة، و قد نبغ في المدن شعراء، واشتمل شعرهم على آراء متحضرة، و منقحة، وتعبيرات لم تكن مألوفة في البادية لرحلاتهم إلى بلاط الملوك، و أسر الأغنياء في الحاضرة، و تظهر آثار العلم في شعرهم، لكن الرواة شغفوابشعر البادية أكثر و اعتمدوا عليه و شرحوا لغاته، وصنف بعض الأدباء الشعراء إلى شعراء الوبر، و شعراء المدر، وجعلوهما اتجاهين مختلفين، ومن الشعراء الذين عدهم المؤرخون من شعراء أهل المدر النابغة، و الأعشى، و حسان بن ثابت الأنصاري و أمية بن أبي الصلت.....

و هم الشعراء الذين في شعرهم الأفكار العالية وتعبير مثقف، لاختلاطهم بالأسر العالية، و يوجد في شعر هؤلاء المتحضرين نوع من

الصنعة و سمو الفكر و القيم العليا، أما شعر البادية فهو شعر الصدق، و الواقع، و توجد فيه الوجدانية والبساطة.

١- الشعراء العشرة و قبائلهم:

امرؤ القيس بن حجر كندة ، اليمانية

طرفة بن عمرو بن العبد البكري بكر- ربيعة

زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح مزينة (مضر)

لبيد بن ربيعة العامري مضر

عنترة بن شداد العبسي عبس - مضر

عمرو بن كلثوم الجشمي التغلبي تغلب (ربيعة)

الحارث بن حلزة اليشكري بكر (ربيعة)

النابغة - زياد بن معاوية الذبياني ذبيان (مضر)

الأعشى، ميمون بن قيس بن ثعلبة ربيعة (مضر)

عبيد بن الأبرص الأسدي أسد (مضر)

٢ - ومن الشعراء المقدمين بعد شعراء المعلقات:

المتلمس خال طرفة بن العبد.

المرقش الأكبر.

المرقش الأصغر.

عمرو بن معد يكرب.

-تأبط شرا الفهمي - الشنفَرَى الأزدي - حاتم الطائي - أوس بن حجر التميمي - علقمة بن الفحل التميمي - أمية بن أبي الصلت الثقفي - قيس بن خطيم.

-المثقب العبدي - الأفوه الأودي - عامر بن الطفيل - عمرو بن قميئة - بشر بن خازم الأسدي - أبو دؤد الأيادي - الممزق العبدي - السموؤل ابن عاديا - عروة بن الورد - الأخنس بن شريق.

و مما يدل على كثرة الشعر، ما ذكرت كتب الآداب، أن أبا تمام وهو من المحدثين بالنسبة للأصمعي و أبي عبيدة، و رواة الشعر الأولين كحماد الراوية و خلف الأحمر، والضبي، كان يحفظ من الشعر الجاهلي ١٤ ألف أرجوزة غير القصائد و المقاطيع، أما حماد الراوية فكان يحفظ ٢٧ ألف قصيدة، و على كل حرف من حروف الهجاء ألف قصيدة، و الأصمعي كان يحفظ ١٦ ألف أرجوزة، و أبو ضمضم كان يحفظ أشعار المائة شاعر كل منهم اسمه عمرو، و قال أبو عمرو بن العلاء "ما انتهي إليكم مما قالت العرب إلا أقله و لو جاءكم وافراً لجاءكم علم و شعر كثير"[١].

---

[١] تاريخ آداب اللغة العربية، لجرجي زيدان / ج/ ١.

نماذج من الشعر الجاهلي

قال امرؤ القيس (٥٦٥) في الغزل:

أفاطم مهـــلاً بعض هذا التدلل ... وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجمل

أغـرك مني أن حبـــك قـــاتلي ... و أنك مهما تأمري القلب يفعل

و إن تـــك قد ساءتك مني خليقة ... فسلي ثيـابي من ثيابك تنسل

و مـــا درفت عيناك إلا لتضربي ... بسهميك في أعشار قلب مقتل

مهفهفـــة بيضـــاء غير مفاضة ... ترائبهـا مصقولة كالسـجنجل

كبكر المقانـــاة البياض بصـفرة ... غذاهـا نمير المـاء غـير المحلـل

تصد و تبدى عـــن أسيل و تتـقي ... بناظرة من وحش وجرة مطفل

و جيد كجيد الرئم ليس بفاحش ... إذا هـــي نصتـــه ولابمعطـــل

و فرع يزين المتن أســـود فاحـم ... أثيـث كقنـو النخلـة المتعثكـل

غدائرها مستشزرات إلى العـلى ... تضل العقاص في مثنى و مرسل

و تضحى فتيت المسك فوق فراشها ... نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

و تعطو برخص غير شثن كأنـــه ... أساريع ظبى أو مساويك إسحل

تضيئ الظلام بالعشاء كأنهـــا ... منـــارة ممسى راهب متبتـل

و يقول في وصف الليل:

وليـل كموج البحر أرخى سدوله ... علـى بـأنواع الهمـوم ليبتلـى
فقلت لـه لما تمطى بصلبـه ... و أردف أعجـازاً و نـاء بكلـكل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجل ... بصبح و ما الإصباح منك بأمثل
فيـالك من ليل كأن نجومه ... بأمراس كتان إلى صم جنـدل

و يقول في وصف الخيل:

و قد أغتدى و الطير في و كناتها ... بمنجـرد قيـد الأوابـد هيكـل
مكر مفر مقبـل مدبر معـا ... كجلمود صخر حطه السيل من عل
كميت يزل اللبد عن حال متـنه ... كمـا زلـت الصفـواء بـالمتنزل
على الذبل جياش كأن اهتزامه ... إذا جاش فيه حميه غلى مرجل
مسح إذا ما السابحـات على الونى ... أثـرن الغبـار بـالكديد المركـل
يزل الغلام الخـف عن صهواتـه ... و يلوي بـأثواب العنيـف المثقل
درير كخذروف الوليـد أمـره ... تتـابع كفيـه بخيـط موصـل
له أيطلا ظبي و ساقا نعـامـة ... و إرخـاء سرحان و تقريـب تتفل
كأن دماء الهاديات بنحـره ... عصـارة حنـاء بشيب مرجـل

وقـال:

كأن قلـوب الطير رطباً ويابساً ... لدى وكرها العناب والحشف البالي
فلو أن ما أسعي لأدنى معيشة ... كفاني ولم أطلب قليل من المال

ولكنمـــا أسعى لمجـــد مـــؤثل وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي
وما المرء ما دامت حشـــاشة نفسه بمدرك أطراف الخطوب ولا آل

وقال علقمة بن عبدة التميمي المعروف بعلقمة الفحل وهو معاصر لامرئ القيس.

طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب
يكلفني ليلي وقد شـــط وليهـــا وعـادت عـواد بيننـا وخطـوب
منعمة، مـا يستطاع كلامهـــا على بابهـا مـن أن تـزار رقيـب
إذا غاب عنها البعل لم تفش سره وترضـى إياب البعل حين يـؤب

وطرفة بن العبد يقول في وصف الناقة:

و إني لأمضى الهم عند احتضاره بعوجاء مرقال تروح و تغتـدي
أمـــون كألـــواح الأران نصأتها على لاحب كأنه ظهر برجـــد
جماليـــة و جنـــاء تردى كأنها سفنجـــة تبـرى لأزعـر أربـد
تبارى عتاقا ناجيات و أتبعـت وظيفـاً وظيفـاً فـوق مـور معبـد
كأن جنـاحى مضرحى تكنفـا حفافيه شكا في العسيب بمسرد
لها فخذان أكمل النهض فيهمـا كأنهمـا بابـا منيـف ممـرد
لهـا مرفقـان أفتـلان كأنهـا تمـــر بسلـمى دالـج متشدد
صهابية العثنون موجدة القـرا بعيدة وخـد الرجـل موارة اليـد
وخد كقرطاس الشآمى و مشفر كسبت اليمـاني قـده لم يجـرد
و عينان كالمأويتين استـكنتـا بكهفي حجاجي صخرة قلت مورد

على مثلها أمضى إذا قال صاحبي ألا ليتني أفديك منهـا و أفتـدى

و يقول وهو يبين تصوره للحياة:

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتـى وجدك لم أحفل متى قام عودي
فمنهن سبقي العاذلات بشـربة كميت متى ما تعل بالماء تزبد
و كرى إذا نادى المضـاف مجنبا كسيد الغضـا نبهتـه المتـورد
و تقصير يوم الدجن والدجن معجب ببهكنة تحت الطراف المعمد
أرى قبر نحـام بخيـل بمالـه كقبر غوى في البطالة مفسد
أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى عقيلة مال الفـاحش المتشدد
أرى العيش كنزاً نـاقصاً كل ليلة وما تنقص الأيام والدهر ينفد
لعمرك إن الموت مـا أخطأ الفتى لكالطول المرخى و ثنياه باليـد

ويقول وهو يصف نفسه:

أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه خشاش كرأس الحية المتوقد
فآليت لا ينفك كشحي بطانـة لعضب رقيق الشفرتين مهند
حسام إذا ما قمت منتصراً بـه كفى العود منه البدء ليس بمعضد
أخي ثقة لا ينثنى عن ضريبـة إذا قيل مهلا قال حاجزه قدى
إذا ابتدر القوم السلاح وجدتـني منيـعاً إذا بلت بقـائمة يـدى

و قال عبيد بن الأبرص يصف الغيث:

فسقي الرباب مجلجل الأك..... نـاف لمـاع بروقـه
جون تكفكفه الصبـا و هنـاً و تمريـه خريقـه

مرى العسيف عشـــــاره حتـى إذا درت عروقـــه

و دنا يضيئ ربابـــــــه غاباً يضرمـه حريقـــه

حتى إذا مـا ذرعـــــــه بالماء ضـاق فمـا يطيقـه

هبت له مـن خلفـــــــه ريـح شـآمية تسوقـــه

حلت عـزاليه الجنـــوب تنثج واهيـــة خروقـــه

وقـال لبيد بن ربيعة العامري في وصف بقرة وحشية مـات ولدهـا وهي تبحث عنه:

خنساء ضيعت الفريرفلم يرم عرض الشقائق طوفها و بغامها

لمعفـر قهـــد تنـــازع شلوه غبس كواسب لا يمن طعامهـــا

صادفن منهـــا غرة فأصبنها إن المنايا لا تطيش سهامهـــا

باتت و أسبل واكف من ديمة يروي الخمائل دائماً تسجامهـا

يعلو طريقـــة متنهـا متواتر في ليلة كفر النجوم غمامهـــا

تجتاف أصلاً قالصـــا متنبذا بعجـوب أنقـاء يميـل هيامهـا

و تضئ في وجـــه الظلام منيرة كجمانـة البحـري سل نظامهـا

حتى إذا انحسر الظلام وأسفرت بكـرت تـزل عـن الـثرى أزلامهـا

علت تردد في نهـاء صعـائـد سبعاً تؤاماً كامـلا أيـامهـــا

و يقول و هو يفتخر:

أنا إذا التقت المجامع لم يزل منـا لـزاز عظيمـة جشـامها

و مقسم يعطي العشيرة حقها و مغذمـر لحقوقهـا هضامهـا

فضلا و ذو كرم يعين على الندى سمح كسوب رغائب غنامها
من معشر سنت لهم آبـــاؤهم ولكـل قـوم سـنة و إمامهـا
و إذا الأمانة قسمت في معشـــر أوفى بـأوفر حظنـا قسـامها
فبنى لنا بيتاً رفيعاً سمكـــه فسما إليه كهلها و غلامهـــا

و قال زهير بن أبي سلمى المزني و هو يمدح هرم بن سنان المري:

و أبيض فياض يداه غمامـــة على معتفيه ما تغب فواضله
أخي ثقة لايهلك الخمر مـاله ولكنه قد يهلـك المـال نائلـه
تراه إذا مـــا جئتـــه متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله

وقال في المدح:

و فيهم مقامات حسان و جوههم و أندية ينتابها القول و الفعل
و إن جئتهم ألفيت حول بيوتهـم مجالس قد يشفي بأحلامها الجهل
على مكثريهم رزق من يعتريهـــم و عند المقلين السماحة و البذل
سعى بعدهم قوم لكي يدركوهـم فلم يفعلوا ولم يليموا و لم يألوا

و قال الأعشى بن قيس في مدح المحلق:

لعمري لقد لاحـــــت عيون كثيرة إلى ضوء نـار باليفـاع تحـرق
تشب لمـــــقرورين يصطليانهـــا وبات على النار الندى و المحلق
رضيعي لبان ثدى أم تقاسمـــــا بأسحم داج عوض لا نتفـرق
ترى الجود يجري ظاهراً فوق وجهه كما زان متن الهندواني رونـق
يداه يـــــدا صـــــدق فكف مبيدة وكف إذا ما ضن بالمال تنفق

وقال تأبط شراً يمدح ابن عم له يذكر في مدحه الصفات التي كانت محمودة لدى الجاهليين:

قليل التشكي للمهم يصيبه ... كثير الهوى شتى النوي والمسالك
يظل بموماة و يمسى بغيرها ... جحيشاً و يعروري ظهور المهالك
و يسبق وفد الريح من حيث ينتحى ... بمنخرق من شده المتدارك
إذا خاص عينيه كرى النوم لم يزل ... له كالئ من قلب شيحان فاتك
و يجعل عينيه ربيئة قلبه ... إلى سلة من حد أخلق صائك

ويقول عمرو بن كلثوم التغلبي في معلقته وهو يفتخر:

ألا هبى بصحنك فاصبحينا ... ولا تبقى خمور الأندرينا
مشعشعة كأن الحص فيها ... إذا ما الماء خالطها سخينا
صبنت الكأس عنا أم عمرو ... وكان الكأس مجراها اليمينا
أبا هند فلا تعجل علينا ... و أنظرنا نخبرك اليقينا
بأنا نورد الرايات بيضاً ... و نصدرهن حمرًا قد روينا
و أيام لنا غر طوال ... عصينا الملك فيها أن ندينا
متى ننقل إلى قوم رحانا ... يكونوا في اللقاء لها طحينا
كأن جماجم الأبطال فيها ... و سوق بالأماعز يرتمينا
نشق بها رؤوس القوم شقا ... و نختلب الرقاب فتختلينا
ورثنا المجد قد علمت معد ... نطاعن دونه حتى يبينا
ألا لا يجهلن أحد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا

إذا ما الملك سام الناس خسفا أبينا أن نقر الذل فينـــا

ملأنا البر حتى ضاق عنـا وماء البحر نملؤه سفينا

إذا بلغ الفطام لنـــا صبى تخر لـه الجبابر ساجدينا

عنترة بن شداد العبسي يقول وهو يذكر أحد أيامه:

يدعون عنتر والرماح كأنها أشطان بئر في لبان الأدهم

ما زلت أرميهم بثغرة نحره ولبانه حتى تسربل بالدم

فازور من وقع القنا بلبانـه وشكى إلى بعبرة وتحمحم

ولقد شفى نفسي وأذهب سقمها قيل الفوارس: ويك عنتر أقدم

والخيل تقتحم الغبار عوابسا من بين شيظمة وآخر شيظم

ولقد خشيت بأن أموت ولم تكن للحرب دائرة على ابنى ضمضم

وقال المتلمس:

وكنـا إذا الجبـار صعـر خـده أقمنا له من خده فتقومـا

لذى الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا وما علم الإنسان إلا ليعلما

ولو غير أخـوالي أرادوا نقيصتى جعلت لهم فوق العرانين ميسما

وما كنت إلا مثل قاطع كـفه بكف له أخرى فأصبح أجذما

فلما استقاد الكف بالكف لم يجد له دركا في أن تبينا فأحجما

يداه أصابت هذه حتف هذه فلم تجد الأخرى عليها مقدما

فأطرق إطراق الشجاع ولو يرى مساغا لنابيه الشجاع لصمما

قال دريد بن الصمة: وهو يذكر إقدامه والدفاع عن قبيلته بعد أن

رفضت نصيحته، و يرثى أخاه الذي قتل:

نصحت لعارض و أصحاب عارض ورهط بنى السوداء والقوم شهدي
فقلت لهم ظنـــوا بألـفى مـدجـج سـراتهم في الفارسـي المسـرد
فلمـا عصوني كنت منهم و قد أرى غوايتهـم و أنـني غـير مهتـدي
أمرتـهـم أمري بمنعرج اللـــوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد
و هل أنـا إلا من غـزيـة إن غـوت غويـت و إن ترشد غزيـة أرشـد
تنادوا فقالوا أردت الخيل فارسا فقلـت أعبـد الله ذلكـم الـردى
فجئت إليـه و الرماح تنـوشـــه كوقع الصياصي في النسيج الممدد
و كنت كذات البو ريعت فـأقبلت إلى جلد من مسك سقب مقدد
فطاعنت عنه الخيل حتى تبددت وحتى علانى حالك اللون أسودي
فإن يك عبد الله خلى مكانـــه فما كان وقافاً ولا طـائش اليد
قليل التشكي للمصيبات حافـظ من اليوم أعقاب الأحاديث في غد
تراه خميص البطن والزاد حاضر عتيد و يغدو في القميص المقدد
و إن مسه الإقـواء والجـهد زاده سماحاً و إتلافاً لما كان في اليد
صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه فلمـا عـلاه قـال للبـاطل ابعـد
وطيب نفـسي أنـني لم أقـل لـه كذبت ولم أبخل بما ملكت يـدى

و قال المهلهل بن ربيعة وهو يرثي أخاه كليباً:

كليب لا خير في الدنيا و من فيهـا إن أنـت خليتهـا في مـن يخليهـا
كليب أي فتى عز و مكرمـــــة تحت السفاسف إذ يعلوك ساقيها

نعى النعاة كليبـا لي فقلت لـهـم مادت بنا الأرض أم مادت رواسيها
ليت السماء على من تحتهـا وقعت وحالت الأرض فانجابت بمن فيهـا

قال عمرو بن معد يكرب وهو يهجو جرماً و يصف نفسه:

فلما رأيت الخيل زوراً كأنهـا جداول زرع خليت فاسبطرت
فجاشت إلى النفس أول مـرة وردت على مكروهها فاستقرت
علام تقول الرمح يثقل عـاتقي إذا أنا لم أطعن إذا الخيل كرت
لحا الله جرما كلما ذر شـارق وجوه كـلاب هارشت فازيأرت
فلم تغن جرم نهدها إذ تلاقيـا ولكن جرما في اللقـاء ابذعرت
ظللت كأني للرماح دريـئـة أقاتل عن أبنـاء جـرم و فـرت
فلو أن قومي أنطقتني رماحهم نطقت ولكن الرمـاح أجرت

و قال عروة بن الورد المعروف بعروة الصعاليك وهو يستنكر حياة الذل، ويحث على طلب المعالي، و المخاطرة في الحياة:

لحـا الله صعلوكا إذا جن ليله مصافي المشاش آلفا كل مجزر
يعد الغنى من دهره قوت ليلة أصاب قراها من خليل ميسر
ينـام عشاء ثم يصبح ناعسـاً يحت الحصى عن جنبه المتعفر
ولله صعـلوك صحيفة وجهه كضوء شهاب القابس المتنور
مطلا على أعدائـه يزجرونه بساحتهم زجر المنيح المشهر
إذا بعدوا لا يأمنون اقترابه تشوف أهل الغائب المتنظر
فذلك إن يلق المنية يلقهـا حميداً و إن يستغن يوماً فأجدر

و قال أبو كبير الهذلي في وصف صعلوك وهو تأبط شراً:

ولقـد سريت على الظلام بمغشم جلـد مـن الفتيـان غـير مثقـل
ممن حملن به و هن عواقـد حبك النطاق فشب غير مهبل
ومبرأ من كل غبر حيضـة و فسـاد مرضعـة و داء معضـل
فأتت به حوش الفؤاد مبطنـاً سهداً إذا مـا نـام ليـل الهوجـل
وإذا نبذت له الحصاة رأيتـه فزعـا لوقعتهـا طمـور الأخيـل
ما أن يمس الأرض إلا جـانب منه و حرف الساق طى المحمل
وإذا رميت به الفجاج رأيتـه يهوي مخارمهـا هـوى الأجدل
و إذا نظرت إلى أسرة وجـهـه برقت كبرق العارض المتهـلل

و قال الشنفري في قصيد ته المعروفة بلامية العرب:

أقيموا بني عمى صدور مطيـكم فـإني إلي قـوم سـواكم لأميـل
فقد حمت الحاجات و الليل مقمـر وشدت لطيات مطايـا و أرجـل
ولي دونكم أهلون سيـد عمـلس وأرقـط زهلـول و عرفاء جيـأل
هم الأهل لا مستودع السـر ذائـع لديهم ولا الجاني بما جر يخذل
و كـل أبـي بـاسـل غـير أنـني إذا اعترضت أولى الطرائـد أبسـل
و إن مدت الأيدي إلى الزاد لـم أكـن بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجـل

قال أحيحة [1] بن الجلاح اليثربي:

---

[1] أحيحة سيد الأوس كانت عنده سلمى بنت عمرو إحدى نساء بني عدي بن النجار، وكانت امـرأة شـريفة لا تنكـح الرجـال إلا و أمرهـا بيدهـا، خلـف عليها بعد أحيحة هاشم فولدت له عبـد المطلب بن هاشم، وأحيحـة يقـول

لـهوت عن الصبا واللهو غول ونفـس المـرء آونة فتـول
ولـو أني أشاء لنعمت بـالا وبـاكرني صبـوح أو نشـيل
ولا عيـني على الأنماط لعس علىأفواههـن الزنجبيـل
ولكني جعـلت إزاء مـالي فـأقلل بعـد ذلـك، أو أنيـل
فمن ذا كاهن، أو ذو إلـه إذا مـا حـان في رب أفـول
يـراهنـني، فيرهنني بنيـه وأرهنـه بـني بمـاأقول ؟
و ما يـدري الفقير متى غناه ولا يـدري الغني متـى يعيـل
وما تدري، و إن ألقحت شـولا أتلقـح بعـد ذلـك أم تحيـل
وما تدري، و إن أنتجت شعباً لغيرك أو يكون لـه الفصيـل
وما تـدري و إن أجمعت أمـراً بـأي الأرض يدركك المقيـل
لعمر أبيـك ما يغني مقـامي من الفتيان أنجية جهـول

و قال عدي بن زيد العبادي:

أيها الشامت المعير بالـدهر أ أنـت المـبرأ الموفـور ؟
أم لديك العهد الوثيق في الأيام أم أنـت جـاهل مغـرور ؟
من رأيت المنون خـلدن أم من ذا عليه من أن يضام خفير؟
أين كسرى، كسرى الملوك أبوسا سـان، أم أين قبلـه سـابور
وأبو الخضر إذ بناه و إذ دجلـة تجـبي إليـه والخـابور

هذه القصيدة بعد مـا تركتـه سلمى ولحقت بقومهـا، وكـان أخيحـة ينـوى الإغـارة عليهـم، فـأنذرتهم، وعد صـاحب الجمهـرة هـذه القصيـدة مـن المذهبات.

شاده مرمراً و جلله كلســـــاً فللطـــير في ذراه و كـــور
و تبين رب الخورنق إذ أشرف يومـــا و للهـــدى تفكـــير
سره حاله و كثرة ما يمـــلك و البحـر معرضـاً و السـدير
فارعوى قلبه فقال و ما غبطة حي إلى المـــات يصـــير
ثم أضحوا كأنهم ورق جف فألوت به الصبا و الدبـــور

و قال لبيد بن ربيعة في رثاء النعمان:

ألا تسـألان المرء مـاذا يحـــاول أنحب فيقضي أم ضلال و باطل؟
و كل أناس سوف تد خـــل بينهم دويهيـة تصفـر منـه الأنـامل
و كل امرئ يوماً سيعلم غيبـــه إذا حصـلت عند الإله الخصـائل

تراجم الشعراء

يبلغ عدد الشعراء الجاهليين المعروفين حوالي ١٥٠ شاعراً، أو أكثر إلا أن الشعراء الذين نالوا الشهرة و الإعتراف العام، و تناول الأدباء والشراح شعرهم بالبحث، و استجادوا كلامهم، عددهم قليل، ينقسمون إلى طبقات باعتبار خصائصهم الشخصية والأدبية.

و الواقع أن للناس في تفضيل الشعراء آراء و اتجاهات مختلفة متعارضة، وقد اختلف في ذلك المتقدمون و المتأخرون، كما يختلف الأدباء في المفاضلة بين رجال الطبقة الأولى: فمنهم من يفضل امرأ القيس و منهم من يفضل النابغة أو زهيراً، و ذلك باعتبار الأذواق و الطبائع، وهي تختلف باختلاف الناس، إلا أن أغلب الآراء تذهب إلى تفضيل امرئ القيس لابتكاراته و تنوع كلامه و مكانته.

و سنترجم بإيجاز لشعراء المعلقات العشر، ونخبة من فحول شعراء الجاهلية المعروفين بإجادتهم في صنف من أصناف الشعر.

شعراء المعلقات:

الطبقة الأولى

١- امرؤ القيس بن حجر الكندي:

الملك الضليل ذو القروح، جندح بن حجر، من كندة، أبوه سليل الملوك، و أمه أخت كليب و المهلهل ابني ربيعة.

نشأ نشأة الفتيان الغواة، سلك مسلك الصعاليك، يغير و ينهب، يعاقر الخمر، و يغازل النساء و يلهو و يلعب، بدأ يقول الشعر في طفولته، كان يأنف منه الملوك فطرده والده، فغوى وظل سارداً.

أتاه نعى والده الذي قتله بنو أسد غيلة، فأراد أن يأخذ الثأر، و آلى أن لايأكل لحماً ولا يشرب خمراً، حتى يقتل من بني أسد مائة و يجز نواصي مائة، وظل يستنجد و يطلب النصر للانتقام من بني أسد إلى أن مات مسموماً.

شعره:

امرؤ القيس، جزل الألفاظ، كثير الغريب، جيد السبك، سريع الخاطر بديع الخيال، بليغ التشبيه، و قد ساعدته أسفاره و تنقلاته الكثيرة على استنباط المعاني الجديدة، فاستحدث في الشعر العربي معاني لم تكن مألوفة لدى الشعراء، فقلده فيها الشعراء المتأخرون، ومن مستحدثاته الوقوف على الأطلال، و البكاء عليها، و تشبيه النساء بالمها و الظباء، و البيض، و قد أجاد في وصف الليل و الخيل، و شعره صورة صادقة لنفسه لا لمجتمعه، و يخلو شعره من ذكر الخصال التي يفتخر بها عادة الشعراء العرب من الفروسية و الرجولة والمخاطرة، و خير ما أثر عنه معلقته، وهو زعيم الشعراء، ومعلقته تقدم صورة صادقة للشعر في

العهد البدائي - مفككة الأجزاء تنقصها فكرة مركزية، وشعره كشعر طرفة ، يمثل أخيلة فتى شارد خليع، لا يرتبط بقيم في الحياة.

٢- زهير بن أبي سلمى المزني:

أحد الشعراء المقدمين الثلاثة (٥٢٠ - ٦١٠ م) من الطبقة الأولى، وهو شاعر عرف بشعر منقح، و قول عفيف، وجيز اللفظ، غزير المعنى و الحكمة، نشأ في غطفان، فمدح هرم بن سنان المري سيد ذبيان، من بيت جل أهله من الشعراء، و بقي على ذروة الشعر إلى العهد الإسلامي، عني بتربيته أوس بن حجر زوج أمه، و كان شاعر مضر في زمانه ، فروي عنه الشعر، فلما ظهر زهير، أخمل أوساً، قال في مدح هرم ابن سنان و الحارث بن عوف على الصلح بين عبس و ذبيان قصيدة رائعة تشتمل على أفكاره و تجاربه وهي من المعلقات السبع المعروفة.

كان زهير متورعاً، مؤمناً بالبعث و الحساب، قال في معلقته:

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفي، و مهما يكتم الله يعلم

كان زهير يهذب شعره ولا يظهره إلا بعد حول، فسمى بعض شعره بالحوليات، و يتضمن شعره الصدق، و عدم المبالغة، و سهولة العبارة و البعد عن غريب الكلمات، لا يمدح إلاما عرف من فضائل، و من مزاياه الإكثار من الأمثال و الحكم، و تجارب الحياة، وهو يصور الحياة و ينقدها.

و كان عمر رضى الله عنه يفضله على الشعراء لتعففه.

٣- النابغة الذبياني:

أبو أمامة زياد بن معاوية بن سعد الذبياني أحد فحول شعراء الجاهلية و حكمهم بعكاظ، و أحسنهم ديباجة لفظ و جلاء معنى و لطف اعتذار، كان من أشراف ذبيان، لازم صحبة الملوك، و طالت صحبته للنعمان بن المنذر أبي قابوس، و له مدائح كثيرة و قصيدة استعطاف معروفة، و قد وشي به عند النعمان، فهرب إلى ملوك غسان، و مدحهم ثم اعتذر إلى النعمان فعفا عنه فعاد إلى صلته القديمة به، و توفي النابغة في عام ٦٠٤م و كان من المعمرين.

يعتقد من يميل إلى وضوح المعنى، و رقة التعبير، و المعاني الحضرية، أنه أشعر شعراء الجاهلية.

ومن غرر قصائده، قصيدة مطلعها:

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الـــــدار ماذا تحيون من نوئ وأحجـــار

وله قصيدة رائعة في مدح عمرو بن الحارث الغساني يستهلها بوصف طول الليل:

كليـــــنى لهم يا أميمـــــة ناصب وليل أقاسيه بطئ الكـــواكب

و له قصيدة معروفة في وصف المتجردة.

ومن جيد قوله في الإعتذار إلى النعمان، و مدحه، و تبرير زيارته لبلاط الغساسنة.

أتاني أبيت اللعن أنك لمتنى وتلك التي أهتم منهـا و أنصب

فبت كأن العـــائدات فرشن لي هراساً به يعلي فراشي و يقشب

إلى أن قال:

فـــلا تتركـــني بـالـوعـــيد كـأنني إلى الناس مطلى به القار أجرب

ألم تر أن الله أعـطـــاك ســـورة تـرى كل ملك دونهـــا يتـذبـذب

و أنك شمس والملـوك كـــواكـب إذا طلعـت لـم يبد منهن كوكب

ولست بمستبق أخـا لا تلمـــــه على شعث، أي الرجـال المهذب

فإن أك مظلوماً فعبداً ظلمتـــه و إن تك ذا عتبي فمثـلك يعـتـب

و كان النابغة يقوي [1] في شعره كقوله:

أمن آل مية رائح أو مغتدى عجـــلان ذا زاد وغـــير مزود

زعم البوارح أن رحلتنا غـدا و بذلك خبرنا الغراب الأسود

كـان النابغـة رغـم اتصالـه بـالملوك و مدحـه إيـاهم أبـي النفـس فيتجلى سمـوه الذاتـي و عـزة نفسـه في شـعره، و شـعره رقيـق، منسـق الخيـال، و يمتـاز عـن صاحبيـه ببديـع كنايتـه و دقيـق إشـارته، و صفـاء ديباجتـه و قلـة تكلفـه و موافقـة شـعره لمجتمعـه، فغنـى النـاس بشـعره وشـغلوا أنفسـهم بـه في الجاهليـة و الإسـلام، و ممـا يـدل علـى مكانتـه السامية، أن العرب كانوا يقيمون له خيمـة مـن أدم في عكـاظ، و كـان يحتكم إليه الشعراء و الأدباء في الخصومات الأدبية.

---

[1] الإقواء هو الإكفاء، مهموز، وهو اختـلاف إعـراب القوافـي فتكـون قافيـة مرفوعة و أخرى غير مرفوعة، وهو في شعر الأعراب كثير وفي شـعر من دون الفحول، ولا يجوز للمولد لأنه عرف عيبه.

٤- أعشى ميمون:

أبو بصير الأعشى، هو ميمون بن قيس بن جندل من بكر بن وائل (ربيعة) من فحول الشعراء، و أمدحهم للملوك و أوصفهم للخمر، كان من أهل اليمامة و لذلك عد من شعراء الحضر، وهو أول من تكسب بشعره و سأل، وسمى لطلاوة شعره، وقوة طبعه صناجة العرب، قيل عنه "مامدح أحداً إلا رفعه، ولا ذم أحداً إلا وضعه" و قصته مع المحلق مشهورة، وعده بعض محبيه من أصحاب المعلقات.

و من جيد شعره ما قاله في مدح النبي ﷺ، و لم يوفق من زيارته، وتشتمل قصيدته على أربعة و عشرين بيتاً، مطلعها.

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا و عادك ما عاد السليم المسهدا

فآليت لا أرثي لها من كلالة ولا من حفى حتى تزور محمدا

و قال في مدح المحلق قصيدة مطلعها:

أرقت وما هذا السهاد المؤرق و ما بي من سقم وما بي تعشق

ومن الناس من يجعل الأعشى أحد الفحول الأربعة، و أفضلهم إذا طرب، و لذلك كانوا يتسابقون إلى استضافته، و لكلامه وقع و روعة لا يمحو أثرها، و من جيد شعره قصيدته الطويلة، يعدها بعض محبيه من المعلقات، مطلعها.

و دع هريرة[1] إن الركب مرتحل و هل تطيق و داعاً أيها الرجل

---

[1] هريرة مولاة حسن بن عمرو بن مر.

غراء فرعـــاء مصقول عوارضهـــا تمشي الهوينا كما يمشي الوجى الوحل
كأن مشيتهـا من بيت جارتهـــا مـر السحابة لا ريـث ولا عجـل
ماروضة مـن رياض الحزن معشبـة خضراء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بعميـــم النبت مكتهـــل
يوما بأطيب منها نشر رائحـــــة ولا بأحسن منها إذ دنـا الأصل
ألست منتهيا عن نحت أثلتنـــا ولست ضائرها مـا أطت الإبـل
كناطح صخرة يومـا ليوهنهـــــا فلم يضرها و أوهي قرنه الوعـل

و الأعشى أول مـن سـأل بشعره، ولعلـه يرجـع إلى سـوء بصـره فجعل شعره و سيلة للتكسب بمدح الملوك، و الأغنياء و ذكر الخمر، و التغزل بالنساء، ليشيع شعره في الشباب، و أجود شعره في المدح، وله هجاء مـؤلم و غـزل صريـح أيضـاً، واسـتعمل الأعشى في كلامـه بعـض الألفاظ الفارسية، واستعمل أيضاً بعض الألفاظ الإسلامية لأنـه وجد عصر الرسول ﷺ .

٥- طرفة بن العبد البكري:

نشأ طرفة يتيماً،فعاش شارداً، حائراً لإغفال بني أعمامه، فشب شاكياً ناقماً بخشونة بدوية و بطالة مفسدة، و كان متوقد الذهن حاد البادرة. فعد من فحول الشعراء، وهو دون العشرين، وفي النـاس مـن يعتقد أنه لو عاش لكان قد أخمل امرأ القيس، كما أخمل زهير أوس بن حجر.

و شعر طرفة معقد التركيب، غريب اللفظ، بدوي الفكر، ضيق الموضوع، وقد عرف بمعلقته، و لم يرو الرواة غيرها من شعره، و شعره يدل على حرمانه في الحياة و قدره المنحط في مجتمعه، لفقره و إدمان الخمر و الإسراف و المجون.

و تمتاز معلقته بدقة وصفه لأعضاء الناقة، بحيث يحتار القارئ هل هو يشبب بغانية أم يصف ناقة، وقد تجاوز في ذلك إلى حد أنه يبدو في أبيات بيطاراً، و في آخر المعلقة ينضج فكره، و ينتقل إلى حقائق الحياة، و يسلك مسلك الحكماء، و مما يميز معلقته عن معلقة امرئ القيس، أن أجزاء معلقته مرتبطة منسقة، وتخلو من التناقض إلا أنه أكثر من استعمال الألفاظ الغريبة.

مطلع معلقته :

لخولة أطلال ببرقة ثهـــــمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وقوفا بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجـلد

٦- عمرو بن كلثوم التغلبي:

شب عمرو بن كلثوم و أمه بنت المهلهل بن ربيعة، عزيز النفس أبي الضيم، وساد قبيلته وهو دون العشرين، و كان عهده عهد اشتداد الخصومة والنزاع بين بكر و تغلب من جراء حرب البسوس، وقد أنهكت الحرب القبيلتين، و بدأت محاولات الوساطة بين الفريقين المتحاربين عن طريق عمرو بن هند.

و عرف عمرو بمعلقته المشهورة التي مطلعها:

ألا هبى بصحنك فاصبحينا ولا تبقــى خمــور الأندرينــا

مشعشعةً كأن الحص فيهـا إذا مـا المـاء خالطهـا سـخينا

صبنت الكأس عنـا أم عمرو وكان الكأس مجراها اليمينـا

ولم يرو شئ غير معلقته، و المعلقة صادرة عن حادثة شخصية وقعت له أمام عمرو بن هند، و اختلف الرواة في سبب إنشادها، وتغلب على معلقته الإرتجالية، وهي سريعة الخطي، حادة تخضع لطبيعة التهور و التزمت وعاطفة الانتقام، على غرار قصائد المرقش، والسموأل بن عاديا، وقد شغلت معلقته أذهان رجال قبيلته دهراً.

٧- الحارث بن حلزة:

أبو الظليم الحارث بن حلزة اليشكري البكري، كان في بنى بكر مكان عمرو بن كلثوم في بنى تغلب، و اشتهر بمعلقته التي ارتجلها في حضرة الملك عمرو بن هند عفو الساعة نال بها عطفه، و نصح فيها قومه، و شكى فيها بني تغلب و ذكر أيام العرب، و يعتقد بعض الأدباء أن الحارث بن حلزة لم يكن في منزلة فحول الشعراء، و إنما تعصب بنو بكر فأدخلوه في صف الفحول، و يقال إن معلقته و ميل الملك عمرو بن هند إليه أثارت حفيظة عمرو بن كلثوم فأنشد معلقته، و رأي آخر يقول إن عمراً أنشد قصيدته بعد قتل عمرو بن هند انتقاماً من إسائته إلى أمه.

نموذج من معلقته ويقول فيها :

آذنتنـــا ببينهـــا أســـــماء ... رب ثـــاوٍ يمـــل منـــه الثـــواء
آذنتنـــا بعهـــد هـــا ثم ولت ... ليت شعرى متى يكون اللقاء
إن إخـــواننـــا الأراقـــم يغلـــو ... ن علينـــا في قيلهـــم احفـــاء
يخلطون البريئ منا بذي الذنب ... ولا ينفع الخلي الخـــــــلاء

٨- لبيد بن ربيعة العامري:

أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامري، نشأ في ظل النعيم و ذكر الندى والبأس. أبوه ربيعة المقترين و عمه ملاعب الأسنة فارس مضر. قال الشعر وعمره لم يبلغ عشر سنين.

كان لبيد جواداً، كريم النفس سخياً، يشف شعره عن معان رفيعة، وهو منسق العبارة، فخم الأسلوب، تغلبه الغنائية، قليل الحشو، والمبالغة، وتغلب المروءة و النبل و كرم النفس على النخوة، والإباء الزائد الذي تعود عليه الشعراء في عصره، صادق التصوير.

أسلم لبيد وعاش في الإسلام ثمانين سنة، لم يقل بعد الإسلام شعراً.

نموذج من معلقته:

عفت الديـــار محلهـــا فمقـــامهـــا ... بمنـــى تـــأبدغولهـــا فرجامهـــا
فمـــدافـــع الـــريـــان عـــرى رسمهـــا ... خلقاً كما ضمن الوحي سلامها

ومن جيد قوله في رثاء أخيه:

بلينـــا و ما تبلى النجوم الطوالـــع ... و تبقى الديار بعدنا و المصانع

وقد كنت في أكناف جار مضنة ففارقني جار بأربد نافع

وما الناس إلا كالديار و أهلها بها يوم حلوها و راحوا بلاقع

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد إذ هو ساطع

وما المال و الأهلون إلا و دائع ولا بد يوما أن ترد الودائع

وما الناس إلا عاملان فعامل يتبر ما يبني و آخر رافع

٩- عنترة بن شداد العبسي:

عنترة بن عمرو بن شداد العبسي نشأ في حجر شداد، فنسب إليه دون أبيه، أمه حبشية، وهو من هجناء العرب و أغربتهم، برع في الطراد والفروسية حتى أصبح قائد كتيبة، وقد أغارت بعض أحياء العرب على عبس، و جرى القتال فقال له أبوه "كر يا عنترة" فقال " العبد لا يحسن الكر و إنما يحسن الحلب والصر "فقال "كر و أنت حر" فقاتل قتالاً شديداً حتى هزم المغيرين فادعاه أبوه بعد ذلك و ألحق به نسبه.

صار عنترة مضرب المثل في الإقدام و الجراءة، و ألفت باسمه مسرحيات وأناشيد، و للناس فيه آراء متضاربة، وقد نسب إليه من الشعر وأضيف إلى معلقته، و يجمع عنترة في شعره بين حلاوة الغزل ومتانة الفخر، وهو في وصف القتال و الفخر أشعر.

نموذج من معلقته:

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحا دار عبلة وأسلمي

١٠- عبيد بن الأبرص الأسدي:

وهو عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم ويكنى أبا زياد واسم أمه أمامة . نادم ملوك الحيرة مع النابغة الذبياني، و شعر عبيد من أصدق الشعر الجاهلي الحافل بسورة الفخر الجريء مع جد في تناول الحياة و إشراق في الوصف والعتاب، وهو من فحول شعراء الجاهلية، جعله ابن السلام في الطبقة الرابعة من فحول الشعراء، و قرن به طرفة و علقمة بن عبدة، وهو من المعمرين، قتله المنذر بن امرئ القيس اللخمي، ومن أجود شعره قصيدته التي يقول فيها:

أقفر من أهلها ملـــحوب ... فالعطبيـــات فـــالذنوب [١]

فـــراكس فثعيلبات ... فـذات فرقـين فـالقليب [٢]

فعردة فقـفـــــا حبرّ ... ليس بهـا منهـم عـــريب [٣]

ويقول فيها:

من يسأل الناس يحرموه ... وسائل الله لايخيب

بالله يدرك كل خير ... والقول في بعضه تلغيب

والله ليس لـــه شـريك ... علاّم ما أخفت القلـوب

---

[١] ملحوب ماء لبني أسد بن خزيمة، العطبيات والذنوب موضعان.

[٢] راكس ثعلبيات ذات فرقين، أسماء مواضع، القليب البئر.

[٣] عردة هضبة وهو ماء لكعب بن ابي بكر، جبّر جبل في ديار سليم.

شعراء آخرون

الشعراء الأقدمون

١- المهلهل بن ربيعة:

أبو ليلى عدي بن ربيعة من بني جشم من بني تغلب، وهو من أقدم الشعراء الذين وصلت إلينا أخبارهم، وهو خال امرئ القيس، وجد عمرو بن كلثوم التغلبي لأمه، ويعتقد الرواة أنه أول الشعراء، قال الفرزدق:

ومهلهل الشعراء ذاك الأول

والحقيقة أنه أول من قصد القصيد، وأطال فيه ذكر الوقائع.

وكان المهلهل يعيش حياة لهو ومجون، وكان أخوه كليب (وائل بن ربيعة) يعيره ويدعوه بزير النساء، وقتل جساس بن مرة الشيباني كليباً، انتقاماً من رميه ناقة لأحد ضيوف جساس بالسهم ، وكانت الناقة ترعى مع إبل كليب في مكان واحد، فثار المهلهل على قتل أخيه، وأقسم أن ينتقم فنشبت حرب عرفت بحرب البسوس، دامت أربعين سنة، وتفتحت قريحة المهلهل في الحزن على كليب، فجادت بقصيدة في الرثاء، وقصائد رثاء المهلهل وجدانية ومثيرة، وهو مجيد في الرثاء، وله شعر جيد في الحماسة أيضاً، وعده صاحب جمهرة شعر العرب من أصحاب المنتقيات.

و من مراثيه المشهورة:

أجنبي يا كليب خـــلاك ذم لقد فجعت بفارسها نزار
وإنك كنت تحلم عـن رجـال و تعفو عنهم ولك اقتـــدار
فلا تبعد فكل سوف يلـقى شعوباً يستدير بها المـدار
كأني إذ نعى النـاعي كليبًـا تطاير بين جنبي الشـــرار
فدرت، وقد عشى بصري عليه كما دارت بشاربها العقار

٢- عمرو بن قميئة (٥٤٠م).

عمرو بن قميئة من بكر بن وائل، و هو ابن أخي المرقش الأكبر، وعم المرقش الأصغر، وعم والد طرفة بن العبد، وهو شاعر فحل لكنه مقل، وأكثر شعره في مدح عمه مرثد بن سعد، وقد كان عمرو شاباً جميلاً فأحبته زوجة عمه، فأبى فشكت إلى زوجها أن عمرواً ابتغاها، فخاف عمرو عمه فهرب إلى المنذر بن ماء السماء، و جعل ينظم الشعر في مدح عمه و التبرئ عما نسبته امرأة عمه إليه.

رافق عمرو بن قميئة امرأ القيس في رحلته إلى الروم، لأنه كان في خدمة والده حجر بن الحارث، و كان قد بلغ تسعين سنة من عمره، فأرهقه السفر وتوفي في أثناء الرحلة، فسماه العرب عمراً الضائع، و تدعى بكر لعمرو بن قميئة بالتقدم في الشعر.

ومن مختار كلامه:

رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى ... فكيف بمن يرمي وليس برام

وأهلكني تأميل مـا لست مـدركاً ... وتأميل عام بعد ذاك وعـام

إذا ما رآني الناس قالوا: ألم تكـن ... جليداً حديث السن غير كهام

فلـو أرمى بنبل رميتهـا ... ولكنـني أرمى بغير سهـام

على الراحتين مرة وعلى العصـا ... أنـوء ثلاثـا بعـدهن قيـامي

كأني وقد جاوزت تسعين حجـة ... خلعت بها عني عذار لجـامي

وقد أشار إليه امرؤ القيس في قصيدة مطلعها:

أرى أم عمرو دمعها قـد تحـدرا ... بكاء على عمرو، وما كان أصبرا

وقال فيها:

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونـه ... وأيقن أنا لا حقان بقيصـرا

فقلت لـه: لا تبـك عينك، إنمـا ... نحـاول ملكا أو نموت فنعـذرا

٣- المرقش الأكبر (م٥٥٢م).

عوف بن سعد، وقيل عمرو، من بكر بن وائل، ولد في اليمن، ثم نشأ في العراق، وتعلم القراءة والخط، وفي عام ٥٢٤م اتصل بالحارث بن أبي شمر الغساني، ونادمه ومدحه، فاتخذه الحارث كاتباً.

واشترك المرقش في حرب البسوس، وأبلى فيها بلاءً حسناً، كان المرقش الأكبر من العشاق العرب المشهورين، ولذلك أحسن شعره هو

الغزل، وله شعر في الحماسة والفخر، و وصف الإبل، و يعد من رجال الطبقة الأولى، وشعره جميل في أسماء حبيبته، و من قوله فيها:

أمن آل أسماء الطلول الدوارس ... تخطط فيها الطير قفر بسابس

ذكرت بها أسماء لو أن وليها ... قريب ولكني حبستني الحوابس

و من خيار كلامه:

سرى ليلا خيال من سليمى ... فأرقني و أصحابي هجود

فبت أدير أمرى كل حال ... و أرقب أهلها و هم بعيد

٤- المرقش الأصغر (٥٧٠)

هو ربيعة بن سفيان بن سعد ، ابن أخي المرقش الأكبر، كان كعمه من سادة قومه، وكان ممن اشتركوا في حرب البسوس، و أبلوا فيها بلاء حسناً، وكان جميلاً وهو من عشاق العرب المعروفين، وكان مغامراً، وله مغامرات في الحب والغرام، و شعر جيد فيه وهو حسن الشعر.

و بعض الناس يفضلونه على عمه، برع في الغزل والخمر، والحماسة، وله أبيات في الحكمة و الصداقة، وصاحبته فاطمة بنت المنذر، وهو من شعراء جمهرة شعر العرب، و المفضليات و الأصمعيات.

من مختار كلامه في الغزل:

وما قهوة صهباء كالمسك ريحها ... تعل على الناجود طوراً و تقدح

ثوت في سواء الدن عشرين حجة ... يطان عليها قرمد وتروح

سباها رجال من يهود تباعـدوا بجيلان يدنيها من السوق مربح
بأطيب من فيها إذا جئت طارقا من الليل بل فوهـا ألذ و أنفـح

٥- أوس بن حجر:

أوس بن حجر من بني تميم، أصله من البحرين، قام برحلات في نجد والعراق، و عاش في بلاط الحيرة، وهو الذي حض عمرو بن هند على الأخذ بثأر أبيه المنذر بن ماء السماء، و كان أوس قد تزوج أم زهير بن أبي سلمى. مات قبل الإسلام.

أوس من فحول شعراء الجاهلية، وهو شاعر غزل، واشتهر أيضاً بالطرد (وصف الصيد و وصف السلاح) و يجيد وصف القوس،و له شعر في الحكمة، كان زهير راوية لأوس بن حجر، و تقدم تميم أوساً على سائر الشعراء.

الشعراء الفرسان

١- دريد بن الصمة (٦٠٣).

هو أبو عمرو معاوية بن الحارث بن معاوية بن بكر بن علقمة ابن غزية بن جشم من هوازن، فارس شجاع شاعر فحل، سيد بني جشم وفارسهم وقائدهم، كانت أمه بنت معديكرب، أدرك الإسلام، ولم يسلم، وخرج يوم حنين للمشركين، ولا فضل فيه للحرب و إنما أخرجوه تيمناً به و الاقتباس من رأيه، فقتل دريد يومئذ، و كان له إخوة منهم عبد الله الذي قتله غطفان، فحزن عليه و رثاه في قصيدة له رائعة، و كانت امرأته أم معبد لما رأته شديد الجزع على أخيه عاتبته و صغرت شأن أخيه فطلقها، و قال فيها قصيدته التى مطلعها.

أرث جديد الحبل من أم معبد بعاقبة أمر أخلفت كل موعد

كان دريد شاعراً مكثراً، و معظم شعره في الحماسة والرثاء.

و خطب دريد الخنساء بنت تماضر فرفضت فهجاها.

٢- علقمة الفحل (٦٢٥).

علقمة بن عبدة بن النعمان التميمي، شاعر من الشعراء الفحول، معاصر لامرئ القيس، قال حماد: كانت العرب تعرض أشعارها على قريش فما قبلوا منها كان مقبولاً وما ردوا منها كان

مردوداً. فقدم عليهم علقمة فأنشدهم:

هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

فقالوا هذا سمط الدهر، و في العام المقبل أنشد:

طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

قالوا هاتان سمطا الدهر.

و يعرف علقمة بن عبدة بعلقمةالفحل، تمييزًا له من رجل من قومه يلقب بعلقمةالخصي، اسمه علقمة بن سهل، و علقمة الفحل شاعر بدوي، اشتهر بالطرد، و وصف الفرس و النعامة، و له شيئ من المدح والغزل.

٣- زهير بن جناب الكلبي (٥٦٠م).

هو زهير بن جناب من بني قضاعة من كلب من اليمن. كان أميراً و سيداً و فارساً شجاعاً كثير الغزو و مظفراً، وأقام ملوك اليمن زهيراً عاملاً على بكر و تغلب لجمع الإتاوة، و كان زهير عاتياً فاعتدى عليه رجل من بنى تيم اللات، وطعنه طعنة غير بالغة، فلما شفى زهير سار بجموع من قومه على بكر و تغلب قبل حرب البسوس، و أكثر منهم القتل وأسر جماعة من رؤسائهم وفرسانهم فيهم كليب والمهلهل، ثم أغار عليهم بنو ربيعة و انتصروا في يوم خزازى.

و من شعر زهير المشهور:

والمـــوت خـــير للفـــتى فليهلكن و به بقيـــة

من أن يرى الشيخ البجـال و قد يهادي بالعشية

وقوله:

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

٤- الأخنس بن شهاب بن شريق التغلبي:

من شعراء حرب البسوس، وهو من شعراء الطبقة الثالثة، له قصيدة رائعة يذكر فيها فضل قومه، و فضل القبائل الساكنة في نجد ومنازلها، مطلعها:

فمن يك أمسى في بلاد مقامة يسائل أطلالاً بها لا تجاوب

فلابنة حطان بن قيس منازل كما نمق العنوان فى الرق كاتب

تمشي به حول النعام كأنها إماء تزجى بالعشي حواطب

وقفت بها أبكى و أشعر سخنة كما اعتاد محموم بخيبر صالب

٥- عامر بن الطفيل:

عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر من بني عامر بن صعصعة وهو ابن عم لبيد، ولد في ٥٥٥م و نشأ فارساً شجاعاً وساد قومه، و كان قائدهم، وخاض معارك في الجاهلية، و عدا عامر على جماعة من المسلمين أرسلهم النبي ﷺ لغرض الإسلام عندما وفد عامر في عام ٦٢٩م إلى المدينة فقال أتجعل لي نصف ثمار المدينة و تجعلني ولي الأمر من بعد، فقال ﷺ : اللهم اكفنى عامراً واهد بني عامر، فطعن (أصابه الطاعون) في طريقه فمات.

عامر شاعر فحل مجيد برع في الحماسة والفخر و وقعت بين

عامر والنابغة الذبياني منافرة.

٦- طفيل الغنوي:

أبو قران طفيل بن عوف، من بني غني بن أعصر، شاعر شجاع فارس، يتعهد تربية الخيل، و تضميرها لأهلها بأجر، كان أسن من النابغة، توفي قبل الإسلام، وهو من الشعراء الفحول المعدودين، تبعه في فنون الشعر النابغة، و زهير، و قال الأصمعي طفيل عندي في بعض فنون الشعر أشعر من امرئ القيس.

يجيد طفيل وصف الخيل، وله شعر في الفخر والمدح، والرثاء والوصف والغزل.

٧- بشر بن أبي خازم الأسدي:

كان بشر فارساً وبطلاً شجاعاً، شهد الحرب بين بني أسد و بين بني طي، و هو من كبار شعراء بني أسد ومشاهيرهم، و شعره متين السبك بدوي المنحى، وله شعر جيد في الحماسة و الفخر و الوصف، وهو من شعراء المجمهرات في جمهرة شعر العرب، و اختار من كلامه المفضل الضبي أيضاً في المفضليات، و كان في شعره إقواء كقوله:

ألم تر أن طول الدهر يسلى و ينسى مثل ما نسيت جذام

إلى قوله:

وكانوا قومنا فبغوا علينا فسقناهم إلى البلد الشآم

الشعراء الصعاليك

١- عروة بن الورد العبسي م ٦١٥م.

عروة بن الورد، أو عروة الصعاليك، شاعر فارس، من بني عبس، وصعلوك من صعاليك العرب المعدودين، و الأجواد، ولقب بعروة الصعاليك لجمعه إياهم و قيامه بأمرهم إذا عجزوا عن الإغارة، ولم يكف لهم معاش، وهو جواد، و يكثر في شعره من ذكر الكرم والسماحة والحماسة، و قد فضله بعض الأدباء على حاتم في الكرم.

ومن جيد شعره قوله:

إني امرؤ عافي إنائي شركة و أنت امرؤ عافي إنائك واحد

أتهزأ مني أن سمنت و أن ترى بوجهي شحوب الحق والحق جاهد

أقسم جسمي في جسوم كثيرة وأحسو قراح الماء و الماء بارد

٢- تأبط شراً (م٥٣٠).

ثابت بن جابر الفهمي من قيس، كان من أغربة العرب أسود، لأن أمه كانت حبشية زنجية.

و تأبط شراً شاعر من الصعاليك، حاد البصر والسمع، عداء يلحق بالخيل و الظباء، و يغزو على رجليه وحده، و تزوجت أمه أبا كبير الهذلي،وحاول أبو كبير قتله مراراً ولكن تأبط شراً كان يقظاً جداً، فأفلت من القتل.

و يشك الجاحظ في كثير من شعره، و يوجد تداخل في شعره و شعر خاله الشنفري، وله شعر في الأصمعيات والمفضليات، و الأغاني، و الحماسة.

٣- الشنفرى:

الشنفَرَى بمعنى الأصل من الأزد، و هو شاعر صعلوك من العدائين الفتاك الرجلين، كان يضرب به المثل في سرعة الركض، ومدى القفز، قيل كانت الخيل لا تلحقه، و قد وقع الشنفري في أسر بني سلامان من بني فهم، وهو صغير، فلما عرف حقيقة أمره أقسم أن يقتل مائة منهم لأنهم استعبدوه، فقتل تسعة و تسعين ثم قتل.

الشنفري من الشعراء الصعاليك المعروفين، وله شعر في الحماسة والفخر، وله لامية العرب، و بعض الأخباريين يشكون في نسبتها إليه، وقد نالت هذه القصيدة القبول، و كثر شرحها.

٤- السليك ابن السلكة السعدى:

سليك بن عمرو أحد بني مقاعس والسلكة أمه، وهي أمة سوداء، والده عمرو بن يثربي بن كعب بن سعد التميمي، و السليك أحد صعاليك العرب العدائين الأربعة الذين كانوا لا يلحقون، ولا يلحق بهم الخيل إذا عدوا، و كان يعرف الطرق ولا يضل، فقيل فيه: أهدى من قطا، و كان لا يغير على مضر و إنما كان يغير على اليمنيين و إذا لم يتيسر ذلك أغار على ربيعة، وهو أشد رجال العرب، و أنكرهم و أشعرهم.

الشعراء الحكماء

١- أمية بن أبي الصلت:

هو أمية بن أبى الصلت من بكر بن هوازن، و أمه رقية بنت عبد شمس ابن عبد مناف، كان أمية تاجراً من أهل الطائف ينتقل بين الشام و اليمن، وقد مال منذ صباه إلى التحنف، وكان يقرأ الكتب الدينية المتقدمة، فهجر عبادة الأوثان، وترك شرب الخمر، و كان يقول إن نبياً سيبعث وقد أظل زمانه، ولما جاء الإسلام كاد يسلم و لكن قومه من ثقيف عادي الإسلام والرسول ﷺ فلم يسلم، و سمع الرسول ﷺ شعره فقال آمن لسانه و كفر قلبه، وكان أمية يحرض قومه على قتال المسلمين، و رثي أمية القتلى من المشركين في غزوة بدر.

وقد ضاع القسم الأكبر من شعره، و شعره كثير التكلف ضعيف البناء، وفيه من الألفاظ و التعابير ما هو غير مألوف لدى العرب، و لذلك لا يحتج اللغويون بشعره.

و أكثر شعره في الزهد و كلام الله والآخرة، والحكمة [١].

---

[١] تاريخ الأدب العربي: عمر فروخ.

٢- الأفوه الأودي:

هو صلاة بن عمر بن مالك بن عوف من سعد العشيرة، من بني مذحج من اليمن، و يقال أيضاً الأفوه الأودي و كان يكني أبا ربيعة، وكان سيد قومه و قائدهم، وهو من مشاهير الشعراء القدماء في الجاهلية، و كان نحل الشعر لشهرته، و أكثر شعره في الحكمة، و هو معدود في الحكماء، ومن أبياته المشهورة في الحكمة.

و البيت لا يبتني إلا له عمد ... ولا عماد إذا لم ترس أوتاد

فإن تجمع أوتاد و أعمدة ... و ساكن بلغوا الأمر الذي كادوا

لا يصلح الناس فوضي لاسراة لهم ... ولا سراة إذا جهالهم سادوا

تهدي الأمور بأهل الرأي ما صلحت ... فإن تولوا فبا لأشرار تنقاد

الشعراء الأجواد

١- حاتم الطائي (م٦٠٧).

حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي، أمه عتبة بنت عفيف، نشأ حاتم كريماً، و ورث الكرم إلى حد الإسراف من والدته التي كانت غنية وكريمة مبذرة، و كان والده ممسكاً، قال أبو عبيدة أجواد العرب ثلاثة، كعب بن أمامة و حاتم طئ، و هرم بن سنان.

تزوج حاتم مرتين، النوار، و كانت تلوم حاتماً على كرمه، ثم تزوج ماوية بنت عفزر من بنات ملوك اليمن، و كانت هي تحب الكرم، و خلف ثلاثة أولاد، عبد الله، و عدياً، و سفانة، وقد غطى ذكر الكرم والإنفاق على شعر حاتم و حياته.

شعراء اليهود و النصارى

أشهر شعراء اليهود، السموأل بن عاديا، كان يسكن القصر الأبلق من تيماء، و شهرته بالشعر أقل من شهرته بالوفاء، لما لقي في سبيله من رزء ولده لوفائه مع امرئ القيس، و تنسب إليه قصيدة:

إذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

و الحق إنها لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي، ولا توجد

للسموأل ابن عاديا إلا مقطوعات قليلة من الشعر. وكان في المدينة شعراء اليهود، ولكن دورهم في الشعر العربي لم يكن ملحوظاً.

الشعراء النصرانيون:

كان العرب على اتصال دائم بالنصرانية، فقد كان الغسانيون قد تنصروا في دمشق واللخميون في الحيرة، والنصرانية كانت منتشرة في اليمن، إلا أن الشعراء العرب المعروفين لم يكونوا نصرانيين، ولكنهم احتراماً لدين ممدوحيهم من ملوك الحيرة وغسان أشاروا إلى بعض الأفكار النصرانية كما أشاروا إلى بعض الأفكار المجوسية، أما دينهم الغالب فكان الوثنية.

وكان أشهر شعراء النصرانية عدي بن زيد، وينتمي عدي إلى بيت من البيوتات القديمة في الحيرة، وتأدب أبوه في قصور ملوك فارس، وتأدب عدي على طريقة نبلاء فارس، ثم عاش في بلاط الملوك بالمدائن، وكان سفيراً لكسرى بن هرمز (خسرو الثاني برويز) وانتقل إلى دمشق، وهناك قال أول شعره، ثم رجع إلى الحيرة، وقضى حياته في التنقل بين الحيرة والمدائن في الصيف للاصطياف.

اشتهر عدي في الخمريات، وله شعر في المعاتبات والتفكير في الفناء والموت الذي يدل على شقائه في آخر أيامه لغضب النعمان عليه [1]، ويقول ابن قتيبة "علماؤنا لا يرون شعره حجة، وقال الأصمعي:

---

[1] الأغاني.

العرب لا تروي شعر أبي دؤاد الأيادي و عدي بن زيد لأن ألفاظهما ليست بنجدية ١.

وقد يجد دارس الشعر أفكار النصرانية في شعر شعراء آخرين كالنابغة، و زهير و لبيد، لاتصالهم بالملوك النصرانيين أو لتعرفهم على الأفكار النصرانية، ولكن لا يدل ذلك على أنهم قبلوا النصرانية كدين، فإنهم كانوا على دين آبائهم العرب، و من ثم كان خطأ تاماً ما زعمه لويس شيخو حيث ادعى أن جميع شعراء الجاهلية تقريباً من شعراء النصرانية ٢.

نقد كتاب شعراء النصرانية

و يقول الأستاذ كارلو نالينو في المحاضرات التي ألقاها بالجامعة المصرية ١٩١٠- ١٩١١م في الرد على كتاب شعراء النصرانية للأب شيخو، "إن الأب لويس شيخو بماله من اليد الطولي في الآداب العربية نشر سنة ١٨٩١م في بيروت القسم الأول من كتابه المسمى بشعراء النصرانية، وهو عبارة عن مجلد ضخم جمع فيه من عدة كتب جملة وافرة من أشعار عهد الجاهلية زاعماً أن أصحابها كانوا يدينون بدين النصارى، ولكنه بالغ في ظنه هذا أي مبالغة كأنه زعم نصرانياً كل شاعر جاهلي لم يوصف صريحاً باليهودية، و ورد في شعره شيئ مما يتقرب من اعتقاد وحدانية الله أو من التأملات والإعتبارات الدينية

---

١ الشعر و الشعراء.

٢ بروكالمان: تاريخ الأدب العربي ج١.

فعد من النصارى امرأ القيس والنابغة و طرفة و غيرهم من شعراء الصنف الأول و الثاني الذين لا شك لكل منصف في أنهم من أصحاب الوثنية، أما المؤكد المثبت فإنما هو أن دين النصرانية ذاع في القرن السابق للهجرة في شمالي جزيرة العرب فاعتنقه بعض القبائل مثل بني تغلب و قسم غير صغير من بني تميم فضلاً عن أكثر المقيمين بمملكة بنى غسان و أكثر سكان مدينة الحيرة، و سميت نصارى الحيرة بالعباد، ولعل المقصود بعباد الله أوعباد المسيح و نصرانيتهم (وهي على مذهب النسطورية) قديمة لأننا نعرف أسماء أساقفة الحيرةمن سنة ٤٠٠م تقريباً إلى نحو سنة ٦٠٤م، ومن أقدم شعراء النصارى الذين وصل إلينا شئ من أشعارهم أبو دؤاد الأيادي وقد ولاه المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة (نحو ٥٠٦- ٥٥٤م) على خيله " فكان وصافاً للخيل، و أكثر أشعاره في وصفه، وله في غير ذلك إلا أن شعره في وصف الفرس أكثر" و لانت ألفاظه لقربه من حضارة ريف الفرات، و بعد شعره عن أساليب عرب البادية، وأشهر منه عدي بن زيد العبادي من عائلة قديمة بالحيرة، تعلم الفارسية و تولى الأمور العربية بديوان كسرى أبرويز (٥٩٠- ٦٢٨م) من ملوك بني ساسان بالمدائن، فأرسله مرة كسرى إلى ملك الروم بهدية من طرفه، ثم استدعاه النعمان بن المنذر (نحو ٥٨٠- ٦٠٢م) من المدائن إلى الحيرة و ولاه على جميع أمور المملكة إلى أن قتله لما وشت إليه به الحساد، و شعره أقرب إلينا من شعر أهل البادية .

وأسهل فهماً، فلذلك لم يعده علماء اللغة العربية من الفحول " وكان الأصمعي و أبو عبيدة يقولان: عدي ابن زيد في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم يعارضهما ولا يجري معهما مجراهما "وعلى قول الأصمعي" كانت الرواة لا تروي شعر أبي دؤاد ولا عدي ابن زيد لمخالفتهما مذاهب الشعراء" أو كما قيل "لأن الفاظه ليست بنجدية"[1].

---

[1] تاريخ الآداب العربية، طبع دار المعارف بمصر ١٩٥٤م، وقد نشرت مجلة الضياء الصادرة من ندوة العلماء سلسلة مقالات للأستاذ سعيد الأنصاري في عام ١٩٣٢م للرد على كتاب شعراء النصرانية فند فيها الكاتب منهج الأب شيخو الشمولي الذي أدخل به معظم الشعراء الجاهليين في النصارى.

البابُ الثالثُ

رواية الشعر العربى

شرح الشعر

الخط العربي، الكتابة

كتابة الشعر

مواد الكتابة

رواية الشعر العربي

إن الكتابة مهما توسعت، وانتشرت لا تستطيع أن تشمل جميع طبقات الشعب وحتى في عصور الرقى العلمي، فكيف يمكن أن تكون عامة في العصور البدائية، والعرب الذين كانت الأمية فاشية فيهم، وكانت مهنة الكتابة والقراءة مقتصرة على أفراد من الناس متميزين عن عامتهم، كان جل اعتمادهم على ذاكرتهم، والرواية الشفهية للشعر، والأحاديث والحكايات، والخطب والوصايا، وقد وهبهم الله ذاكرة حادة وذهناً وقاداً تميزهم عن سائر الأمم في العالم، وكان التذوق بالشعر، والملكة اللسانية الفائقة قد سهلت الاحتفاظ بالتراث الأدبي للعرب، وإذا درسنا طريق حفظ الشعر، وجدنا نظاماً طبعياً متبعاً لتخليد هذا التراث العظيم، ونقله وعناية كل شاعر بكلامه، والاهتمام بشيوعه، وعكوف أشخاص متذوقين بالشعر على نقل الشعر وروايته وحفظه وإشاعته.

كانت رواية الشعر في بداية الأمر تقتصر على الشعراء الذين كانوا ينشدون أشعارهم في المجالس والمحافل والمسامرات، يسمعها الناس من رجال قبيلتهم ويحفظونها، وينقلونها إلى من لم يحضر هذه

المجالس، و خاصة إذا كان الشاعر من الفحول، كما قال شاعر:

ألم تر أن شعرى سار عني وشعرك حول بيتك لا يسير

وفي سرعة انتشار الشعر، و روايته يكمن تأثير الشعر و أهميته، فقد قيل عن الأعشى أنه ما مدح أحداً إلا رفعه ولا ذم أحداً إلا وضعه، وإن قصته مع المحلق وقصيدة عمرو بن مكتوم التغلبي التي شاعت وانتشرت، تدل على سرعة انتشار الشعر في أرجاء الجزيرة العربية، واهتمام العامة و الخاصة به، كما تدل قصة جرير مع الراعي و وصول قصيدته في هجائه إلى بني نمير قبل وصول الراعي إليهم، وقد قام برواية الشعر عدد من الشعراء الذين رووا شعر غيرهم من الشعراء، إما لقرابة أو لصلة أخرى معهم، و عرف هؤلاء الشعراء الذين كانوا رواة بالشعراء الرواة، وهم من فحول الشعراء، منهم زهير بن أبي سلمى، و كان راوية لأوس بن حجر، و كعب بن زهير والحطيئة، راويتي زهير، وأبو ذؤيب الهذلي، الذي كان راوية للمرقش الأكبر، وطرفة راوية عمه المرقش الأصغر،و امرؤ القيس راوية خاله المهلهل و أبي دؤاد الأيادي، و آخرهم كثير راوية جميل.

و القسم الثاني من الرواة هم الذين يسمعون شعر أكثر من شاعر، ويتتلمذون عليهم فينشدون أشعارهم، منهم الطرماح، والكميت، و رؤبة بن العجاج و ذو الرمة، فقد كان لهؤلاء الشعراء علم بالشعر الجاهلي

ولم يقصروا جهدهم على شاعر واحد، و منهم أخذ الرواة، و كان جرير والفرزدق أيضاً ممن تعلموا و رووا الشعر عن أجدادهما، قال الجاحظ: إن الفرزدق راوية الناس وشاعر و صاحب أخبارهم، و قال يونس بن حبيب: لو لا شعر الفرزدق لذهب نصف أخبار الناس.

و كان الفرزدق يروي عن جده، و كان جده شيخاً كبيراً، و يقول ابن قتيبة: إن شرحبيل بن الحارث عم امرئ القيس كان قد لحق ببني دارم رهط الفرزدق، و كان امرؤ القيس قد صحب عمه قبل يوم كلاب، و قد روي الفرزدق شعر امرئ القيس و أخباره، و إليه يشير الفرزدق و هو يفتخر بذلك في شعره.

وهب القصائد لي النوابغ [1] إذ مضوا

و أبو يزيد [2] و ذو القروح [3] و جرول [4]

و الفحل علقمة الذي كانت له

حلل الملوك، كلامه لا ينحل

و أخو بني قيس [5] و هن قتلنه

---

[1] شعراء عرفوا بالنابغة الذبياني، و الجعدي، و الشيباني.

[2] المخبل السعدي.

[3] امرؤ القيس.

[4] الحطيئة.

[5] طرفة.

و مهلهل الشعراء ذاك الأول

و الأعشيان كلاهما و مرقش

و أخو قضاعة [1] قوله يتمثل

و كان اهتمام كل قبيلة بشعر شعرائها و روايته أمراً تكاد تجمع عليه الروايات، لأن الشاعر كان يسجل مآثر القبيلة و مفاخرها و آدابها و أنسابها، و ذكر ابن رشيق: "كان إذا نبغ شاعر في قبيلة كانت تصنع له وليمة تجتمع النساء يلعبن بالمزاهر و تأتي القبائل و تهنئها".

و كان الشعراء يفتخرون بكثرة رواتهم، فقد قال شاعر يخاطب شاعراً آخر:

ألم تر أن شعري سار عني و شعرك حول بيتك لا يسير

و قال بعض شعراء بكر بن وائل:

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

يروونها أبداً مذ كان أولهم يا للرجال لشعر غير مسئوم

و قد أدرك كثير من الشعراء و أبناء الشعراء الجاهليين العصر الإسلامي، و بعضهم عمروا طويلاً، و انتقلوا إلى المدن و الحواضر، فأخذ الناس شعرهم و شعراء قبيلتهم.

عاش عدي بن حاتم مائة و ثمانين سنة، و نقل علماء الآداب

---

[1] أبو الطمحان القيسي.

والأخبار عنه أخبار طئ، وشعر شعرائها، وعاش حسان بن ثابت الأنصاري طويلاً بعد الإسلام، وقد توفي في عام ٥٤هـ، وروي عنه الكثير من الشعر، وعاش لبيد بن ربيعة ٣٢ سنة في الإسلام، وتوفي الحطيئة في عام ٥٩هـ وهو حافظ لشعر زهير بن أبي سلمى، كما أخذ الناس من أبي دؤاد ومن إبراهيم بن متمم بن نويرة شعر ابن نويرة، وقد لقيه أبو عبيدة وكان ممن أخذوا عنه.

وكانت هذه المجهودات فردية تقوم على الذوق بحيث يحفظ الرواة شعر شعراء أحبوهم وأعجبوا بشعرهم، ورواة يحفظون شعر شعراء قبيلتهم بآبائهم وأجدادهم، وكانوا أصحاب ذاكرة حادة وقوة حفظ وتمييز ونقد، كما كان فيهم من الثقات المتورعين المتشددين في الرواية.

وفي منتصف القرن الثاني بذل مجهود لجمع الشعر، فقامت جماعة من العلماء ونقلت هذا التراث من البادية ومن ثروة القبائل المحفوظة،وعانت في جمعه ما عانت، ومنهم أبو عمرو بن العلاء المتوفي ١٥٣هـ، وحماد الراوية المتوفي في سنة ١٥٤هـ. يقول ابن سلام، أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها حماد الراوية، ومن حماد الراوية نقل خلف الأحمر وهو أول من أحدث السماع بالبصرة بعد أن سمع من حماد.

و من أبي عمرو بن العلاء و حماد الراوية، أخذ سائر شيوخ العلم والرواية منهم خلف الأحمر والمفضل الضبي، و الأصمعي و أبو عبيدة وأبو عمرو الشيباني.

و أخذ عن هؤلاء الشيوخ ابن الأعرابي، و محمد بن حبيب و أبو حاتم السجستاني، ومنهم أخذ السكرى و ثعلب، و من عصرهم بدأ تدوين الشعر تدويناً عملياً، و مؤلفاتهم و رواياتهم هي مصادر المدونات في القرنين الثالث والرابع و أضرابهما [1].

يصف ابن سلام الجمحي، أبا عبيدة و الأصمعي بأنهما من أهل العلم وكذلك المفضل [2].

---

[1] مصادر الشعر الجاهلي.

[2] مصادر الشعر الجاهلي.

شرح الشعر

كان أبو عمرو بن العلاء يجمع طوال حياته أشعار العرب القدماء و كذلك معاصروه، أمثال حماد الراوية و المفضل الضبي وخلف الأحمر، و كانوا يدونون إشارات سريعة من تفسير لغريب و شرح لمعنى.

و جاء الجيل الثاني أمثال الأصمعي و أبو عبيدة و أبي زيد والأخفش الأوسط، وأبي عمرو الشيباني، و ابن الأعرابي، فأضافوا إلى تفسير كلمات الشعر و الأنساب من جهودهم ثروة غنية من التفسير والشرح والنقد، و بهم اتسع ميدان الشرح و النقد.

كان اهتمام الجيل الأول بجمع الشعر وحفظه من الضياع، فانصبت جهود رجالها على روايته و تدوينه، أما ما ضموه إليه من تعليقات فقد كان عنصراً ثانوياً، فكانوا رواة للشعر أكثر من كونهم رجال لغة ومعان، أما تلاميذهم فقد كانوا رواة و رجال لغة و تفسير و نقد [1].

وعلى ثروات هؤلاء الرواة يعتمد ابن قتيبة في كتابه "الشعر والشعراء" والجاحظ في مؤلفاته، و الأصفهاني في أغانيه، والنويري في "نهاية الأرب" وابن عبد ربه في "العقد الفريد" و ياقوت الحموي في

---

[1] مجلة مجمع اللغة العربية لدمشق، فخر الدين قيادة.

"معجم الأدباء" وغيرهم من المؤلفين القدامي و أصحاب الأمالي و النوادر.

واختلفت وجهة نظر رواة الشعر والأيام واللغة في تلك المصادر، فبعضهم حصر جهده في المصادر العربية مثل الأصمعي، و بعضهم اختار ما للعرب ولغير العرب مثل أبي عبيدة، واختلفت ميولهم كذلك، فمنهم من كان متصلباً في عروبته و آخر شعوبياً متصلباً في شعوبيته.

و زاد في حماس الدراسات الأدبية ما كان من منافسة بين مدرسة الكوفة، ومن أعلامها حماد الراوية و بين مدرسة البصرة و على رأسها أبو عمرو ابن العلاء، ولكن كليهما كان يحترم الآخر كل احترام، فروي صاحب الأغاني عن أبي عمرو الشيباني أنه قال لم أسأل أبا عمرو ابن العلاء عن حماد إلا وقدمه على نفسه، و كذلك لم أسأل حماداً عن أبي عمرو إلا و قدمه على نفسه، وكان هذا التنافس بين المدرستين تنافساً علمياً، و كان بينهما تبادل وجهات النظر.

كان هذا التراث الذى يرجع فضل جمعه إلى حماد الكوفي و أبى عمرو بن العلاء البصري موضع شك عند القدماء، منهم ابن السلام الجمحي (٢٤٢هـ) وهو أول من شك في صحة بعض الروايات، ولكن نقده وشكه كان على معيار القبول والرد في القرن الثالث، ومن المتأخرين الذين شكوا في صحة هذه الروايات المستشرقون ومن تتلمذ عليهم كطه حسين، و لكن شكهم إما يرجع إلى سوء فهم لتلك الظروف و إما لتطبيق المقاييس العصرية للقبول والرد على ظروف البادية، كما

حمل على الشك ضعف الذاكرة في هذا العصر فاستبعد الباحثون تلك القوة الخارقة لحفظ العرب وحدة ذاكرتهم، وقد رد هذه الشبهات المفروضة علماء العربية، وألفوا كتباً في تحقيق الشعر الجاهلي ومصادره ١.

الخط العربي

إن الكتابة لا تنشأ ولا تعم إلا في ظل مدنية، وكان اتصال العرب في الشمال بالمدنية عند ما عرفوا نوعاً من الاستقرار، وكثر اتصالهم بالأمم المجاورة للتجارة والأمور السياسية، وكان أكثر هذه الطوائف اتصالاً بالمدنية، الطوائف المستقرة على حدود سوريا لاحتكاكها بالروم، وقد نزلت قبائل من الأعراب في المنطقة الممتدة من شمال الحجاز وخليج العقبة، وتكونت لهم وحدة جغرافية وثقافة بعيدة عن ثقافة العرب الجنوبيين، وأسس هؤلاء العرب مملكة باسم النبط بعاصمتها في البطراء.

ابتدع هؤلاء لأنفسهم خطاً اشتقوه من الخط الآرامي، وكانت الكتابة الآرامية مربعة الحروف، ثم تحولت بعد كونها خطاً نبطياً إلى الخط المستدير، بنزوع إلى التربيع، وهو أصل خط النسخ الحالي ٢.

ويقول فريق من العلماء: إن رجالاً من طي وهم مرامر بن مرة

---

١ راجع للتفصيل مصادر الشعر الجاهلي، للدكتور ناصر الدين الأسد.

٢ إبراهيم جمعة (الثقافة) والمجمع العلمي.

وأسلم ابن سدرة و عامر بن جدرة، اجتمعوا بالقرب من الأنبار، و قاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية، فتعلم منهم قوم من الأنبار ومنهم أهل الحيرة، ومن أهل الحيرة تعلم بشر بن عبد الملك أخو أكيدر صاحب دومة الجندل، وأتي مكة لبعض شأنه فتعلم منه سفيان بن أمية و أبو قيس بن عبد مناف ومنهما تعلم أهل الطائف، و انتشر الخط العربي في الشام ١.

و يجمع العرب على أن الخط العربي مأخوذ من الخط الحميري الأنباري، وهو مأخوذ من النبطي الكندي، وهو مأخوذ من خط المسند الحميري، أما قدامي العرب فيقولون إن الخط العربي توقيفي مثل اللغة العربية.

و يظهر من أقوال العلماء وأصحاب الأخبار أن القلم المسند كان مستعملاً قبل مدة طويلة من الإسلام، لرواجه في اليمن في عهد ازدهاره، وهو قلم يباين القلم الذي يكتب به الآن، ثم انتقل العرب إلى قلم آخر، وهو أسهل وألين في الكتابة من قلم المسند، أخذوه من القلم النبطي المتأخر، و ذلك قبيل الإسلام، وقد كان القلم الآرامي و النبطي عاماً في العراق والشام، إلا أن القلم المسند ظل مستعملاً في الشمال كذلك بجانب القلم النبطي الذي اختاره أهل الحجاز، فلما جاء الإسلام و عم استعمال القلم الحجازي، حكم على المسند بالموت فنسيه العرب ٢.

---

١ جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام.

٢ جواد علي: العرب قبل الإسلام ج ٨.

والعرب قد تسمى الكتاب العربي "الجزم" لأنه جزم من المسند، أي قطع منه.

كان الخط الكوفي للكتابة المزخرفة، والنقوش، والنحت، أما النسخ الحجازي فكان للكتابة العادية السريعة ويمكن أن يكون القلمان مستعملين في عهد واحد.

كان الخط العربي غير منقوط ولا مشكل، فأدخل عليه نظام الإعجام في القرن السابع الميلادي للتمييز بين الحروف المتحدة الصورة والمختلفة النطق، ثم أدخل نظام الحركات، فاستخدمت أولا النقط، ثم استخدمت حروف أو أجزاء حروف، ويقول المؤرخون العرب إن أبا الأسود الدؤلي المتوفي سنة ٦٩هـ هو مخترع هذه الطريقة، والأصح أنه وضع النقط، أما التحسينات الأخرى فترجع إلى تلميذيه نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر العدواني، وكان الخليل بن أحمد الفراهيدي قد أبدل النقط برموز هي الفتحة والكسرة والضمة [١].

وكان ترتيب حروف الهجاء على طريق أبجد هوز، وهو طريق الآراميين والنبط والعراقيين، ثم جمع نصر بن عاصم ويحى بن يعمر العدواني في زمن عبد الملك بن مروان الحروف المتشابهة في الشكل، وهو الترتيب المتبع الآن.

---

[١] جواد على: العرب قبل الإسلام.

الكتابة

و تدل الروايات على أن الخط العربي كان قد تم تطوره، و تعلم الكتابة فيه العرب في شمالي جزيرة العرب قبل الإسلام بأكثر من مائة سنة، وكان اختراعه قبل أكثر من مائة سنة، وصارت الكتابة العربية متعارفة بين العرب، و كان يجري التعامل بها في التجارة، وتقييد الصفقات والعهود و المكاتبات ١.

أما الكتابة في الجنوب فكانت شائعة قبل ذلك بزمن طويل، ولكنها كانت شائعة في بعض مناطق الشمال، و كان أكثر اعتماد العرب على الذاكرة لعدم شيوع الكتابة.

و مما يدل على وجود الكتابة،و كونها متعارفة بين العرب، وجود كلمات كثيرة في اللغة العربية لتأدية معنى الكتابة، و أدوات الكتابة، وتوجد عدة أمثال في الشعر العربي الجاهلي، و القرآن الكريم، وإشارات واضحة إليه في الحديث النبوي الشريف، و كتب السيرة و المغازي، ومن

---

١ تطور الخط النبطي من الخط الآرامي في وقت ما في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد، ولم يأخذ طابعه المميز إلا في النصف الأخير من القرن الأول قبل الميلاد.

وقد تحسن الخط و تطور بتطور الكتابة و انتشار المدنية كما ذكره نقش محمد ابن مقلة، واستمر تطور الخط، وتعتبر الفترة ما بين منتصف القرنين الرابع والسادس الميلاديين مرحلة تطور و ابتكار لبعض الحروف النبطية.

هذه الكلمات التي وردت في القرآن الكريم: سطر، خط، كتاب، قلم، رق، أملى، اكتتب، قرأ، مداد، و قد أجمع علماء اللغة والبلاغة على أن القرآن الكريم لم يأت بكلمة غريبة على ذهن العرب، وقد أشار القرآن الكريم إلى وجود الكتابة في العرب في فجر الإسلام بحيث إنه أمر بالكتابة في مواضع شتى.

و في الحديث الشريف إشارات كثيرة إلى كتابة العهود والمواثيق، و ذكر ابن هشام في السيرة النبوية في قصة هجرة النبي ﷺ إذ تابعه سراقة بن جعشم، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر رضى الله عنه: قل ما تبتغي منا، قال: فقال ذلك أبو بكر، قال: فقلت: تكتب لي كتاباً يكون آية بيني و بينك، فقال النبي ﷺ : أكتب له يا أبا بكر، قال فكتب لي كتاباً في عظم أو في رقعة أو في خرقة ١.

و يزخر الشعر العربي بذكر الكتابة، و أن تشبيه رسوم الديار بالكتابة دليل على شيوعها، لأن حكم المشبه به أن يكون أعم من المشبه، ونورد هنا بعض ما ورد في الشعر الجاهلي من إشارات الكتابة، قال لبيد:

فمدافع الريان عرى رسمها ... خلقاً كما ضمن الوحي ٢ سلامها

قال حسان بن ثابت الأنصاري:

عرفت ديار زينب بالكثيب ... كخط الوحي في الورق القشيب

---

١ السيرة النبوية، الكامل، و أسد الغابة.

٢ قال التبريزي:الوحي جمع وحي و هو الكتاب.

قال الأخنس بن شريق:

فلابنة حطان بن قيس منازل كما نمق العنوان في الرق كاتب

قال المرقش الأكبر:

الدار قفر والرسوم كأنها رقش في ظهر الأديم قلم

قال زهير:

لمن الديار غشيتها بالغدفد كالوحي في حجر المسيل المخلد

قال لقيط بن يعمر الأيادي:

سلام في الصحيفة من لقيط إلى من بالجزيرة من أياد

ذكر ابن عبد ربه أسماء سبعة عشر كاتباً في قريش في فجر الإسلام، منهم عمر بن الخطاب، وعلى بن أبي طالب، وأبو بكر الصديق، وكان عدد كبير من الأنصار يعرفون الكتابة [1].

وقد كان من عادة العرب في الجاهلية والإسلام تدوين أحلافهم في صحف، توكيداً للعهد، فلما قاطعت قريش بني هاشم وبني المطلب كتبت بذلك كتاباً، وكتب النبي ﷺ كتاباً في صلح الحديبية، وكتاباً بعد وصوله إلى المدينة المنورة للموادعة بين المسلمين واليهود، وبعث برسائل إلى الملوك والرؤساء في آخر أيام حياته، وكتب رسالة رداً على رسالة مسيلمة الكذاب (السيرة النبوية) وكذلك كان الشعراء يكتبون ما جادت به القرائح من شعرهم، ويعلقون بأستار الكعبة وعرفت هذه القصائد بالمعلقات.

---

[1] العقد الفريد.

كتابة الشعر

أما كتابة الشعر، فتدل عدة روايات على وجود اتجاه في العرب لكتابة الشعر و حفظه رغم ترجيحهم حفظ الشعر و روايته شفهياً صيانة له لأنهم كانوا يعتقدون أن الرواية الشفهية أكثر صوناً له، من التحريف و النحل.

كان عند النعمان بن المنذر من الشعر ديوان فيه أشعار الفحول وما مدح به هو و أهل بيته، فصار ذلك إلى بني مروان أو صار منه [1].

و قد عرف أهل اليمن الكتابة قبل مدة كبيرة من الإسلام، يقول بروكلمان في "تاريخ الأدب العربي" "كان أهل اليمن يعرفون الكتابة و يستعملونها في نقش الآثار الدينية والقانونية على الحجارة، منذ ألف عام على الأقل قبل الميلاد، والجنوب غنى بالآثار".

فلا عجب إذاً أن تكون هناك أبيات كتبت داخل الجزيرة العربية على عهد محمد ﷺ، و من ثم يعد خطأ ما قاله مرغليوث، وطه حسين، فإنهما أنكرا استعمال الكتابة في شمال الجزيرة العربية قبل الإسلام بالكلية، و رتبا على ذلك ما ذهبا إليه من أن جميع الأشعار المروية لشعراء جاهليين مصنوعة و منحولة لأسمائهم [2].

و قد اعترف عدد من المستشرقين بوجود الكتابة في الجاهلية،

---

[1] طبقات فحول الشعراء للجمحي.

[2] تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ج ١.

أمثال ميوروكرنكو، وذكر البلاذري عن الواقدي أنه كان الكتاب في الأوس والخزرج وكان بعض اليهود قد علم كتاب العربية وكان يعلمه بعض الصبيان بالمدينة وإن التعليم قد عم حتى شمل النساء الجاهليات، حيث كان بعض نساء الجاهليات يقرأن ويكتبن .

وذكر الطبري في تاريخه انتشار الكتابة والقراءة في الأنبار، حيث وجد خالد بن وليد أهلها يكتبون العربية ويتعلمونها ويرى درمتغم وجود تعليم واسع ومنظم في العصر الجاهلي، وهو قول مبالغ فيه إلا أن القراءة والكتابة في الجاهلية كانت شائعة في إمارة المناذرة في العراق وفي إمارة الغساسنة في الشام، وفي مملكة التبابعة في اليمن .

وكان عدد لا بأس يعرف الكتابة في الطائف ومكة والمدينة، إلا أنها كانت نادرة في بعض أنحاء جزيرة العرب ومن أدلة وجود الكتابة والقراءة في الجزيرة العربية، ووجود كتّاب وقرّاء الخطوط التي ظهرت على صخور الجزيرة وجبالها، ومن المدوّنات التي عرفها المحققون في التاريخ العربي مكتبات حمير في الجنوب، وذخائر الحيرة في الشمال، وأسفار اليهود في منازل اليهود [1].

وذكر جواد على : " ثبت علميا أن الخط المسند كان معروفا قبل الإسلام في كل الجزيرة العربية" [2].

---

[1] التاريخ العربي ومصادرة ج ص ١٤٣.

[2] تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد على ج١ ص ١٩٤.

و ذهبت فئة منهم إلى أن الشاعر الجاهلي كان يعرف أن يمسك بالقلم بيده، و استدلوا على ذلك ببعض الصور و التشبيهات التي وردت في شعرهم الجاهلي، فليس الأمر الغريب في رأيهم أن يكون بعض الشعراء المقيمين بمكة أو بالطائف أو بالحيرة يلقون الخطوط الأولى من قصائدهم على الورق [1].

و تفيد رواية أن المرقش الأكبر كتب على مؤخر الرحل هذه الأبيات إلى حرملة و هو مريض:

يا صاحبي تلبثا لا تعجلا إن الرواح رهين أن لا تغفلا

فلعل لبثكما يفرط سيبنا أو يسبق الإسراع سيبا مقبلا

كان عدد من الشعراء يكتبون و يقرأون، و كان منهم، من إذا نظم شعراً دونه، ثم ظل يعمل في إصلاحه و تنقيحه وتحكيك ما نظمه إلى أن يرضى عنه، فينشده الناس، و ممن كان يكتب و يقرأ سويد بن الصامت الأوسي صاحب مجلة "لقمان" و الزبرقان بن بدر، وكعب بن زهير، وكعب بن مالك الأنصاري، والربيع بن زياد العبسى، و كان هو و إخوته من الكملة، وقد كتب إلى النعمان بن المنذر شعراً يعتذر إليه [2].

---

[1] شفيق جبري مجلة المجمع العلمي ٢/ ٤٦.

[2] تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد على/ ج ٨.

مواد الكتابة:

وكان من المواد المستعملة للكتابة، الجلد: ومنه الرق والأديم، والقضيم، والقماش، وكانوا يطلقون على الصحف القماشية كلمة المهرق، فكان يستخدم لأمر جليل.

والنبات: ومن أقسامه العسيب والكرنافة، والخشب، والعظام، كما كان الحجر يستعمل للكتابة.

أما الكتابة على الورق ففيها اختلاف بين المؤرخين، وقد كان الورق نادراً، وعم استعماله في القرن الثاني للهجرة [1].

---

[1] مصادر الشعر الجاهلي للدكتور ناصر الدين الأسد.

فهرس

تصدير سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي ..... ٥ - ١٣
تقديم الكتاب الأستاذ محمد الرابع الندوي ..... ١٤ - ١٨
بين يدي الكتاب بقلم المؤلف ..... ١٩ - ٢٥

البـــاب الأول

الفصل الأول

العرب أصلهم و موطنهم

الساميون، اللغات السامية، الموطن الأول للشعب السامي، الأقوال المشهورة، شبه الجزيرة العربية، التقسيم الطبيعي لجزيرة العرب، العرب، طبقات العرب، العرب البائدة، العرب العاربة، العرب المستعربة، حفظ الأنساب، الأرحاء والجمرات والجماجم، الأنساب وتصور الطوطمية، الفصاحة والبيان وحب الحرية، الزواج والأسرة، بعض عادات العرب ومعتقداتهم الخرافية، الحجاز، مناخ بلاد العرب، نبات بلاد العرب، حيوان بلاد العرب ..... ٢٧ - ٥٥.

الفصل الثـــاني

اللغة العربية، نشأتها، وتهذيبها وخصائصها

اللغة العربية، نشأة اللغة العربية وتطورها، أفصح العرب، عوامل انتشار اللغة وتهذيبها، حروب الأوس والخزرج، يوم سمير، يوم السرارة، يوم حاطب، يوم

بعاث، حروب العدنانيين، حرب البسوس، حرب داحس والغبراء، الأسواق، تهذيب اللغة العربية وتطورها، ما يميز اللغة العربية عن غيرها من اللغات، عناصر نمو اللغة العربية واتساعها، اختلاف لغات العرب .....٥٦- ٧٨.

الفصل الثالث

الأدب، تعريفه، وأقسامه، وصلته بالعلم والدين

تعريف الأدب، الأدب أكثر ظهوراً في الشعر، الأدب والعلم، تطور كلمة الأدب ومعناها، علوم الأدب، الأدب والدين، عناصر الأدب، أقسام الأدب، النظم، النثر، مجال الإنتاج الأدبي، النقد، التاريخ، البلاغة، تاريخ الأدب، أدب اللغة العربية. ٧٩-٨٩

الباب الثاني

الأدب العربي في العصر الجاهلي

الفصل الأول

الحالة الاجتماعية والدينية والثقافية للعرب قبل الاسلام، المزايا القومية للعرب، علوم العرب، الحياة الدينية.....٩١-١٠٢

الفصل الثاني

النثر في العهد الجاهلي وأعلامه

المثل، الحكمة، نماذج من الأمثال، نماذج الحكم، الخطابة، نماذج الخطابة، الوصايا. ١٠٣-١٠٩

الفصل الثالث

الشعر

أنواع الشعر، مكانة الشعر عند العرب، الشاعر الأول، مميزات الشعر الجاهلي، أسباب الشك في الشعر الجاهلي، طبقات الشعراء، تحليل الشعر الجاهلي، المعلقات، الشعراء العشرة وقبائلهم، من الشعراء المقدمين بعد شعراء المعلقات، نماذج من الشعر الجاهلي، تراجم الشعراء، شعراء المعلقات، امرؤالقيس بن حجر الكندي، شعره، زهير بن أبي سلمى المزني، النابغة الذبياني، أعشى ميمون، طرفة بن العبد البكري، عمرو بن كلثوم التغلبي، الحارث بن حلزة، لبيد بن ربيعة العامري، عنترة بن شداد العبسي، عبيد بن الأبرص الأسدي..... ١١٠-١٥١

شعراء أخرون، الشعراء الأقدمون:

المهلهل بن ربيعة، عمرو بن قميئة، المرقش الأكبر، المرقش الأصغر أوس ابن حجر ..... ١٥٢- ١٥٦.

الشعراء الفرسان:

دريد بن الصمة، علقمة الفحل، زهير بن جناب الكلبي، الأخنس بن شهاب بن شريق التغلبي، عامر بن الطفيل، طفيل الغنوي، بشر بن أبي خازم الأسدي. ... . ١٥٧- ١٦٠.

الشعراء الصعاليك:

عروة بن الورد العبسي، تأبط شراً، الشنفرى، السليك بن السلكة السعدي،..... ..... ١٦١- ١٦٣.

الشعراء الحكماء:

أمية بن أبي الصلت، الأفوة الأودي، ..... ١٦٤- ١٦٥.

الشعراء الأجواد:

حاتم الطائي ..... ١٦٦.

شعراء اليهود والنصارى ..... ١٦٦.

الشعراء النصرانيون، نقد كتاب شعراء النصرانية..... ١٦٧- ١٧٠.

البـــاب الثـــالث

رواية الشعر العربي، شرح الشعر، الخط العربي، الكتابة، كتابة الشعر، مواد الكتابة..... ١٧١- ١٩٠.